اسم الدرس : تفسير سورة الكهف (٦) | الآيات [٦٠ : ٨٢]

تصنيف الدرس : مجلس تفسير

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

بسم الله والصلاة والسلام على رسول الله ﷺ.

أهلًا وسهلًا بكم في الدرس السادس من دروس "وقفات مع سورة الكهف" أو "مجالس سورة الكهف"، أسأل الله سبحانه وتعالى أن يجعلني وإياكم من أهل القرآن عمومًا و من أهل هذه السورة خصوصًا.

❖ مقدمة:

هذه السورة حقيقة ممتعة، وحقيقة أيضًا هذا المجلس متميز، لا أريد أن أقول متميز، ولكني أحب هذا المجلس وأحب هذه القصة التي بإذن الله ﷻ سنتحدث عنها اليوم، لأنها قصة مميزة، وقصة عجيبة، وقصة على الرغم من وجود كثير من العجائب المبثوثة في قصص القرآن سواء في قصة الهدهد مع سليمان، أو حتى في القصة القادمة بإذن الله قصة ذي القرنين، أو قصة أصحاب الكهف التي تحدثنا عنها، كل هذه القصص مليئة بالعجائب لكن تظل هذه القصة حقيقةً لها معاني مختلفة ومليئة بالعجائب والأشياء الغامضة التي سبحان الله أُرِيدَ لها أن تظل كذلك.

بل إن الإنسان حينما يقرأ هذه القصة و يتعايش مع أحداثها ثم يُبصر النور والتفسيرات التي في آخر هذه القصة **قصة موسى والخضر**، ويبصر النور الذي جاء في خواتيم هذه القصة حقيقةً يقول {الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ}[الكهف ١]، الحمد لله أننا في كتابنا قصة مثل هذه القصة، الحمد لله أن الله ﷻ لم يتركنا بغير بيانٍ و بغير توضيحٍ لمثل هذه القصة؛ فالحمد لله على وجود مثل هذه القصة في سورة الكهف و في كتاب الله ﷻ.

هذه القصة قصة عجيبة الكل سمع عنها، قصة موسى والخضر، الكل بالتأكيد سمع عن بعض وقفات فيها، عن تفصيلات فيها، عن تفسيرات لبعض الآيات، لذلك أنا متحرر اليوم بعض الشيء من النقولات العلمية، وسأحيلكم على مصادر لمن يريد أن يرجع إليها إن شاء الله؛ لأن القصة كما قلت هي تحتاج نوعًا من المعايشة؛ لأن كل حياتنا هي جزء من هذه القصة؛ التفاصيل التي حدثت في هذه القصة كل واحد منا سواء في حياته أو يعرف أناسًا آخرين مروا بأحداث شبيهة بمثل هذه القصة.

والقصة تدور حول معنًى عظيم جدًا جدًا جدًا من معاني الإيمان وهو **معنى القدر**.

هذه مقدمات قبل أن ندخل في القصة، قضية القدر وهذه القضية بالرغم من محوريتها في الإيمان، فمن أركان الإيمان أن تؤمن بالقدر خيره وشره، إلا أن دائمًا قضية القدر قضية فيها نوع من السر، كما رُوي عن بعض السلف، والقدر قدرة الله، والقدر ضلّ فيه أناس سواء ضل فيه أناس لمحاولة فهمه، أو ضل فيه أناس لعدم الإيمان به والإعتراض، بل هذا من مداخل الشيطان كما قال النبي ﷺ ((فإن لو تفتح عمل الشيطان))[1].

الإنسان عندما يعترض على الأقدار ويقول لو أني فعلت كذا لكان كذا وكذا، هذه اللَوْلَوة كأنها تنادي على الشيطان أنْ قد فتحت لك الباب تعال فاعمل، هذه اللولوة لو كذا لو كذا تفتح عمل الشيطان وتستدعي أعمال الشيطان في القلب، وتستجلب الحسرة كما سنذكر بإذن الله عن قضية القدر في ثنايا القصة.

فالخلاصة هذه القصة الموضوع الذي تعالجه موضوع عجيب، وضل فيه أناس كثيرون والعياذ بالله، أيضًا الأحداث التي فيها عجيبة، بل إن الشخص بطل القصة الذي مع سيدنا موسى أيضًا شخص فيه نوع من الغرابة واختلفت أقوال العلماء واختلفت أقوال المفسرين فيه كما سنتحدث بإذن الله ﷻ.

○ {وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِفَتَىٰهُ لَآ أَبْرَحُ حَتَّىٰٓ أَبْلُغَ مَجْمَعَ ٱلْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِىَ حُقُبًا}[الكهف ٦٠]

حسنًا، وبعد هذه المقدمة التي قد لا تكون شيقة، تعالوا نبدأ نتكلم بإذن الله ﷻ عن هذه القصة.

قال الله ﷻ في آخر آية في القصة الماضية، أو في الآيات الماضية {وَتِلْكَ الْقُرَى أَهْلَكْنَاهُمْ لَمَّا ظَلَمُوا وَجَعَلْنَا لِمَهْلِكِهِمْ مَوْعِدًا * وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِفَتَاهُ}[الكهف ٥٩-٦٠]، كعادة القرآن وهذا شيء عجيب، ومازال الواحد يرجو أن يفهم أسلوب القرآن في حكاية القصص، عندما تنظر بدايات القصص تبدأ بأحداث عجيبة فمثلًا:

- هنا {وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِفَتَاهُ لَا أَبْرَحُ}[الكهف ٦٠].
- {إِنَّا بَلَوْنَاهُمْ كَمَا بَلَوْنَا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ إِذْ أَقْسَمُوا لَيَصْرِمُنَّهَا}[القلم ١٧].
- {إِذْ قَالَتِ امْرَأَةُ عِمْرَانَ}[آل عمران ٣٥].

[1] [عن أبي هريرة:] الْمُؤْمِنُ القَوِيُّ، خَيْرٌ وَأَحَبُّ إلى اللهِ مِنَ المُؤْمِنِ الضَّعِيفِ، وفي كُلٍّ خَيْرٌ احْرِصْ على ما يَنْفَعُكَ، واسْتَعِنْ باللَّهِ وَلا تَعْجَزْ، وإنْ أَصابَكَ شيءٌ، فلا تَقُلْ لو أَنِّي فَعَلْتُ كانَ كَذا وَكَذا، وَلَكِنْ قُلْ قَدَرُ اللهِ وَما شاءَ فَعَلَ، فإنَّ لو تَفْتَحُ عَمَلَ الشَّيْطانِ.
مسلم (ت ٢٦١)، صحيح مسلم ٢٦٦٤ • [صحيح]

أحداث القصص القرآني تبدأ من لحظة ما، مثلًا هنا أنت تفتتح القصة هكذا، سنتخيل كأننا سنشاهد القصة لأول مرة، فتفتح المشهد الأول في القصة تجد سيدنا موسى جالس بجانبه فتى أصغر منه سنًا، وكأنه عليه علامات التحفز والنشاط والخدمة، وسيدنا موسى يقول لفتاه {لَا أَبْرَحُ حَتَّىٰ أَبْلُغَ مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِيَ حُقُبًا}[الكهف ٦٠].

أين حدث هذا؟ وإلى أين يذهبون؟ وعلى ظهر سفينة أم باخرة؟ وإلى أين اتجاههم؟ وسيدنا موسى لمن يقول هذا الكلام؟ ولماذا يقول له هذا الكلام؟ وما الذي جعل سيدنا موسى يترك قومه بني إسرائيل؟ – لأن معنى أن معه فتاه يوشع بن نون كما سنعلم بإذن الله ﷻ، معناه أن هذا كان في أحداث متأخرة بعض الشيء مع بني إسرائيل. – بني إسرائيل محتاجة إليه، وهو سيترك بني إسرائيل فإلى أين يذهب؟

كل هذه التفاصيل تأتي في الأحاديث، وهنا من حاجة المفسر العودة إلى سنة النبي ﷺ وآثار السلف ليفهم ما وراء هذه الأحداث.

❖ لماذا يبدأ القصص القرآني من لحظة معينة؟

حسنًا، لماذا بدأ القرآن من هذا الموطن تحديدا؟! أنا سأتحدث أولًا عن الخلفية من السنة التي ستشرح لنا إلى هذه اللحظة، هناك خلفية جاءت عن النبي ﷺ في حديث البخاري ومسلم حتى وصلنا إلى هذه اللحظة، لكن لماذا بدأت القصة من هذه اللحظة تحديدا؟ وهذا سؤال المفترض نسأله أنفسنا في معظم قصص القرآن، لماذا يبدأ القصص من لحظة معينة؟

إذًا من الواضح أن هذه اللحظة محورية، واضح أن القصة بدأت بكلمات لموسى عليه السلام { وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ }[الكهف ٦٠].

القصة في القرآن بدأت من كلمات قالها موسى عليه السلام لفتاه، إذًا هذه الكلمات مهمة وهي تدل على العزيمة والاستمرار.

حسنًا ما القصة؟ بدأت عندنا ب {وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِفَتَاهُ لَا أَبْرَحُ حَتَّىٰ أَبْلُغَ مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِيَ حُقُبًا}[الكهف ٦٠]، ما الذي جعل سيدنا موسى يترك بني إسرائيل ويتجه مع يوشع بن نون في هذه السَفرة وفي هذه الرحلة؟

سأذكر خلال سردنا القصة مقتطفات من الأحاديث؛ لإن حقيقةً الروايات شيقة وممتعة ممكن تعودوا إليها، الروايات كثيرة هناك أكثر من رواية في البخاري وأكثر من رواية في مسلم ، توجد رواية عن أبي بن كعب، و رواية ابن عباس، وهناك رواية جامعة وروايات كثيرة ممكن أن تعودوا إليها إن شاء الله.

❖ احذر من آفة الوقوع في العُجب

الخلاصة –مجموع الروايات– أن سيدنا موسى وقف في قومه خطيبًا كعادته ﷺ عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة وأتم التسليم، وقف يعظُ قومه، وهذا موطن عظيم لكن القضية أن الإنسان لابد أن لا يلتفت أنه يريد وجه الله ﷻ –هذا يُسقط علينا لا أتحدث عن سيدنا موسى–، وأن الإنسان أحيانًا مثلًا يكون يتحدث في درس أو فلان يعمل عملًا فلابد أن يستحضر أن هذا بتوفيق الله وأنه محض توفيق الله ﷻ ولولا الله ما اهتدينا ولا صمنا ولا صلينا ولا تكلمنا ولا دعونا ولا فعلنا أي شيء من الطاعات، وكله محض فضل من الله ﷻ.

لابد أن يكون هذا المعنى حاضر عند الإنسان، للأسف بمجرد ما تلتفت إلى عملك شيئًا قليلًا أو تلتفت إلى نفسك قليلًا تُؤتى، يُؤتى الإنسان من النظر إلى نفسه، هذا الحديث إسقاط علينا.

نُكمل مره أخرى تفاصيل القصة:

حسنًا ما الذي حدث مع سيدنا موسى؟، مقامات الأنبياء أعلى بكثير، سيدنا موسى لما وقف في قومه خطيبًا وتأثروا بموعظة وجلت منها القلوب و ذرفت منها العيون وانتهت الموعظة، الموضوع انتهى بفضل الله، الأمور جيدة والدرس انتهى وكل شيء على ما يرام.

لكن هناك أناس يتسببون في الفتنة ودائمًا يظهر مثل هؤلاء الأشخاص، وإن كان هذا الشخص كما تسبب في هذه المشكلة لكن تسبب في علم عظيم جاءنا، وحقًا هو لم يكن يقصد.

قام رجل وقال يا موسى وهل في الأرض أعلم منك؟ وقيل أنه تَبِعه، وهل في الأرض أعلم منك؟

تخيل شيخًا يعطي درسًا والناس تأثرت والناس استفادت، ثم أحد يقول له ما شاء الله أنت أعلم أهل الأرض.

فهناك ناس تتسبب في –لا أتحدث عن سيدنا موسى لكن أتحدث إسقاطًا علينا– فتنة بعض الدعاة بمثل تعليقات معينة؛ فلنُجْمِل في التعليقات ولنرأف بقلوب الدعاة و قلوب العلماء لأنهم بشر، أولًا وأخيرًا هم بشر فلا داعي للتعليقات التي فيها نوع من الزيادة، فلا نقطع أعناقهم.

فقال له هل في الأرض أعلم منك؟ فقال موسى: لا.

انظروا إلى هذه الكلمة، كلمة يمكن أن تمر في خِضم بذل حياة سيدنا موسى الضخمة جدًا، فسيدنا موسى بذل وهو من أولي العزم من الرسل، وكان مع أشد العتاة والمجرمين فرعون، وكان مع أشد الأقوام الذين نزل إليهم بالكتاب وبالرسالة بني إسرائيل ، فأنت متخيل مع كل هذا البذل فقد عاتبه الله لهذه الكلمة، كي تعرف كيف أن مقام الأنبياء عالي، موقف واحد يفعله سيدنا يونس ربنا يقول {إِذْ أَبَقَ إِلَى الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ}[الصافات ١٤٠]، فلابد أن ننظر إلى مقام الأنبياء أنهم في مقام عالي جدًا.

فالخلاصة فلما قال موسى لا فعاتب الله عليه إذ لم يرد العلم إليه، كان الصحيح والمفترض أن يقول: "الله أعلم" وينسب العلم إلى الله ﷻ، انظر كلمة عابرة –التفاتة عابرة– عاتب الله عليه إذ لم يرد العلم إليه، وقال الله ﷻ بلى، ربنا يعلمه، لا يوجد من هو أعلم منك.

فالعلم ليس شيئًا واحدًا، وهذه خطورة الذي يقول : "أنا أعلم أهل الأرض"، أعلم أهل الأرض في ماذا؟ الذي يظن أنه أعلم أهل الأرض ففي ماذا؟ حتى في العلم الواحد لو في الحديث أو في التفسير أو في الفقه كل هذه معلومات كثيرة ومتراكمة على مدار التاريخ، فالذي يدعي امتلاك ناصية العلم حتى ولو في فرع واحد من الفروع هذا **وَهم**.

فالخلاصة لما قال سيدنا موسى "لا" فعاتب الله عليه فقال ((بلى هناك عبد لي هو الخضر أعلم منك))[٢]، أي أعلم منك في جزئيات معينة ليست عندك، وقد التفت بعض المفسرين إلى هذا المعنى وهو

[٢] [عن عبيدالله بن عبدالله بن عتبة بن مسعود:] عَنْ عبدِ اللهِ بنِ عَبّاسٍ، أَنَّهُ تَمارى، هو والْحُرُّ بنُ قَيْسِ بنِ حِصْنٍ الفَزارِيُّ في صاحِبِ مُوسى عليه السَّلامُ، فَقالَ ابنُ عَبّاسٍ: هو الخَضِرُ، فَمَرَّ بِهِما أُبَيُّ بنُ كَعْبٍ الأنْصارِيُّ، فَدَعاهُ ابنُ عَبّاسٍ فَقالَ: يا أَبا الطُّفَيْلِ هَلُمَّ إلَيْنا، فإنِّي قَدْ تَمارَيْتُ أنا وَصاحِبِي هذا في صاحِبِ مُوسى الذي سَألَ السَّبِيلَ إلى لُقِيِّهِ، فَهلْ سَمِعْتَ رَسولَ اللهِ ﷺ يَذْكُرُ شَأْنَهُ؟ فَقالَ أُبَيٌّ: سَمِعْتُ رَسولَ اللهِ ﷺ يقولُ: بيْنَما مُوسى في مَلَإٍ مِن بَنِي إسْرائِيلَ إذْ جاءَهُ رَجُلٌ فَقالَ له: هلْ تَعْلَمُ أحَدًا أعْلَمَ مِنْكَ؟ قالَ مُوسى لا، فأوْحى اللَّهُ إلى مُوسى بَلْ عَبْدُنا الخَضِرُ قالَ: فَسَألَ مُوسى السَّبِيلَ إلى لُقِيِّهِ، فَجَعَلَ اللَّهُ له الحُوتَ آيَةً، وقِيلَ له: إذا افْتَقَدْتَ الحُوتَ فارْجِعْ فإنَّكَ سَتَلْقاهُ، فَسارَ مُوسى ما شاءَ اللَّهُ أنْ يَسِيرَ، ثُمَّ قالَ لِفَتاهُ: آتِنا غَداءَنا، فَقالَ فَتى مُوسى، حِينَ سَألَهُ الغَداءَ: (أرَأيْتَ إذْ أوَيْنا إلى الصَّخْرَةِ فإنِّي نَسِيتُ الحُوتَ وَما أنْسانِيهِ إلّا الشَّيْطانُ أنْ أذْكُرَهُ)، فَقالَ مُوسى لِفَتاهُ: (ذلكَ ما كُنّا نَبْغِي فارْتَدّا على آثارِهِما قَصَصًا) فَوَجَدا خَضِرًا. فَكانَ مِن شَأْنِهِما ما قَصَّ اللَّهُ في كِتابِهِ. إلّا أنَّ يُونُسَ قالَ: فَكانَ يَتَّبِعُ أثَرَ الحُوتِ في البَحْرِ.

وجود عبد الذي هو الخضر أعلم من موسى عليه السلام في بعض القضايا -وموسى عليه السلام أعلم وموسى عليه السلام أفضل بلا نزاع-، فمعنى أن الله ﷻ يُعْلِمه هذا الخبر، في موقف سيدنا موسى لم يكن محتاجًا إلى هذا العلم -وإلا كان الله ﷻ أخبره-.

أي سيدنا موسى الآن صاحب رسالة وأتى بشريعة إلى بني إسرائيل فتطبيق الشريعة مع بني إسرائيل لا يحتاج إلى مثل هذا العلم، فكان مجرد أن أخبره الله ﷻ أن هناك شخص أعلم منك أي في بعض القضايا.

انظر إلى أدب موسى عليه السلام وأخلاق موسى عليه السلام، وانظر إلى كمال أخلاق الأنبياء كيف يبحثون عن الوصول إلى الكمال، والإنسان دائمًا يتطلع أن يصل إلى الكمال، فقال موسى عليه السلام ((يا ربي وكيف لي به؟)) ليس مثلًا هناك واحد أعلم مني فأقول يا رب انتقم منه يا رب خذه، انظر إلى الفارق، الفارق بين تعامل موسى عليه السلام عندما عرف وعلم أن الخضر أعلم منه في بعض القضايا وانظر إلى تعامل أحد ابني آدم لما علم أنه: {فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ الْآخَرِ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ}[المائدة ٢٧] المفترض أن يقول له "قال علمني لماذا تقبل منك ولم يتقبل مني"، "قال فهمني" ، "قال اشرح لي"، "قال بين لي"، كان متوقع هكذا، عندما تعرف أن أحدًا أعلى منك في باب من الأبواب أو أحد أعلى منك في مسألة في الدعوة إلى الله، وهذا يحدث دائمًا بين الأقران، فلان أعلم منه في مسألة، فلان أعلم منه في باب، فلان فُتح له ولم يفتح للآخر.

للأسف بعض الناس يتعامل بمثل هذه الطريقة { قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ }، قال لأهدمنك، قال لأفترين عليك وأطلق عليك إشاعات و.. الخ، لا سيدنا موسى قال: ((يارب كيف لي به ؟))، حقًا أنا أقول كلامًا لكن ساعة التطبيق يكون الأمر صعبًا، أنا عندما أعرف أن فلانًا أعلم مني في باب أو أعلم مني في مسألة، أو فُتح له المفترض أني وبكل أريحية أقول له علمني، فهمني، أجلس -حتى لو أنا أفضل منه وأنا أعلى منه وأنا مهما كنت- تجلس مجلس المتعلم تقول له "ممكن لو سمحت تعلمني في هذا الباب".

موسى عليه السلام من أولي العزم من الرسل الذي واجه فرعون وقومه، والذي يقود بني إسرائيل ويذهب بهم ومعه التوراة كتبها الله بيده، كليم الله يذهب لعبد آخر! موسى عليه السلام لما علم فقط في رحلة المعراج أن غلامًا كما قال موسى عنه -الذي هو محمد ﷺ- يأتي من بعده وقومه أكثر منه بكى موسى

مسلم (ت ٢٦١)، صحيح مسلم ٢٣٨٠ • [صحيح]

عليه السلام وحزن، فحرص موسى على البلوغ للكمالات والفضائل عظيم، موسى عليه السلام فيه غيرة يريد أن يصل إلى الله ﷻ، فلما علم أن هناك أحدًا أعلم منه، بكل أريحية قال "ياربي وكيف لي به؟"، فأخبره الله ﷻ عن مكانه عند مجمع البحرين وأعطاه آية، أعطاه علامة لم يتركه الله ﷻ، مسافة بعيدة جداً، في مجمع البحرين وعند صخرة هناك سيفقد موسى عليه السلام الحوت هذا الحوت الذي كان ميتًا وكان سيشوى أو كان مشويًا أيًا كان، أخبره الله ﷻ أن خُذ حوتًا في مكتل فإذا فقدته فثم هناك المكان.

❖ وقفة هامة جدا: هل أقدم البناء أم العطاء؟

موسى عليه السلام انطلق مباشرة وترك قومه، ما هذا! -كل هذا ما زلنا لم نبدأ في القصة-، **سيدنا موسى سيترك بني إسرائيل الذين يدعوهم ويعلمهم ويقودهم ويذهب ليتعلم!** لاحظ هنا أنه قد يحدث في طريق السائر إلى الله بعض التعارضات، فيقول هل أقدم البناء أم العطاء؟ العطاء للناس أم بناء النفس، كثير يسأل هذا السؤال هل أقدم البناء أم العطاء؟

أولًا: ليس هناك إجابة قطعية، وأنا لا أحب أسلوب أن "القاعدة أن البناء يقدم دائمًا على العطاء"، لا، أولًا ما هي نوعية البناء؟ ومدى احتياجه؟ ومتى توقيت البناء؟ سيدنا موسى لما قال { وَعَجِلتُ إِلَيكَ رَبِّ لِتَرضَىٰ }[طه ٨٤] وهذا كان بناء تعبدي إيماني عاتبه الله ﷻ، وأخبره الله ﷻ أن قومه قد عبدوا العجل {فَإِنَّا قَدْ فَتَنَّا قَوْمَكَ مِنْ بَعْدِكَ وَأَضَلَّهُمُ السَّامِرِيُّ}[طه ٨٥] {فَرَجَعَ مُوسَىٰ إِلَىٰ قَوْمِهِ غضبان أسفا}[طه ٨٦] ، فهنا الموضوع ليس قاعدة واحدة.

الخلاصة أنه **لابد أن يكون في حياتك وقفات**، لا يصح أن تكون حياتك كلها عطاء متتالي وراء بعضه، تحتاج لأن تقف، كالسيارة التي تسير وتحتاج لأن تقف لتتزود بالبنزين.

حتى لو قلت أنا في الأصل لي جدول بناء مستمر، أنا أعلم ذلك لكنك تحتاج لفترات خلوة، لفترات انقطاع، تحتاج لفترات إعادة تفكير، تحتاج لفترات تكتشف علومًا أخرى، تحتاج لفترات ترتقي لمراتب أخرى لم تكن لتصل إليها أثناء حياتك العملية وحتى أثناء العطاء.

إذًا سيدنا موسى بالرغم من أن هذا علم قد لا يحتاج إليه في سياسة قومه وفي الشريعة –التوراة– وبالرغم من ذلك لكنه ذهب وسافر لمكان بعيد وترك قومه وأخذ فتاه معه ليتعلم هذا العلم الذي أخبره الله به، ولم يكن في صدره أي تحرج قال "رب كيف لي به؟" وذهب وأخذ معه فتاه.

❖ تواضع كليم الله موسى -عليه السلام-:

انتبه أخذ معه فتاه، يمكن لأحد أن يقول أنا أمام تلامذتي كيف أظهر وأنا أتعلم من شخص آخر! أنا أمام تلامذتي يجب أن يصل إليهم أني الشيخ الأكبر وأحسن واحد في الدنيا، لا عادي جدًا ، موسى عليه السلام أمام فتاه يوشع بن نون الذي سيكون خليفة من بعده طلب منه أن يصحبه في هذه الرحلة والحديث طويل، ((قال بم تكلفني، قال كلفتك بكذا، قال ما كلفت كثيرًا))[٣].

---

[٣] [عن أبي بن كعب:] إِنَّا لَعِنْدَ ابْنِ عَبَّاسٍ فِي بَيْتِهِ، إِذْ قَالَ: سَلُونِي، قُلْتُ: أَيْ أَبَا عَبَّاسٍ، جَعَلَنِي اللَّهُ فِدَاءَكَ، بِالْكُوفَةِ رَجُلٌ قَاصٌّ يُقَالُ لَهُ: نَوْفٌ يَزْعُمُ أَنَّهُ لَيْسَ بِمُوسَى بَنِي إِسْرَائِيلَ، أَمَّا عَمْرٌو فَقَالَ لِي: قَالَ: قَدْ كَذَبَ عَدُوُّ اللَّهِ، وَأَمَّا يَعْلَى فَقَالَ لِي: قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ، حَدَّثَنِي أُبَيُّ بْنُ كَعْبٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ: مُوسَى رَسُولُ اللَّهِ عليه السَّلَامُ، قَالَ: ذَكَّرَ النَّاسَ يَوْمًا حَتَّى إِذَا فَاضَتِ الْعُيُونُ، وَرَقَّتِ الْقُلُوبُ، وَلَّى فَأَدْرَكَهُ رَجُلٌ فَقَالَ: أَيْ رَسُولَ اللَّهِ، هَلْ فِي الْأَرْضِ أَحَدٌ أَعْلَمُ مِنْكَ؟ قَالَ: لَا، فَعَتَبَ عليه إِذْ لَمْ يَرُدَّ الْعِلْمَ إِلَى اللَّهِ، قِيلَ: بَلَى، قَالَ: أَيْ رَبِّ، فَأَيْنَ؟ قَالَ: بِمَجْمَعِ الْبَحْرَيْنِ، قَالَ: أَيْ رَبِّ، اجْعَلْ لِي عَلَمًا أَعْلَمُ ذَلِكَ بِهِ - فَقَالَ لِي عَمْرٌو - قَالَ: حَيْثُ يُفَارِقُكَ الْحُوتُ - وَقَالَ لِي يَعْلَى - قَالَ: خُذْ نُونًا مَيِّتًا، حَيْثُ يُنْفَخُ فِيهِ الرُّوحُ، فَأَخَذَ حُوتًا فَجَعَلَهُ فِي مِكْتَلٍ، فَقَالَ لِفَتَاهُ: لَا أُكَلِّفُكَ إِلَّا أَنْ تُخْبِرَنِي بِحَيْثُ يُفَارِقُكَ الْحُوتُ، قَالَ: مَا كَلَّفْتَ كَثِيرًا فَذَلِكَ قَوْلُهُ جَلَّ ذِكْرُهُ: {وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِفَتَاهُ} يُوشَعَ بْنِ نُونٍ - لَيْسَتْ عَنْ سَعِيدٍ - قَالَ: فَبَيْنَمَا هُوَ فِي ظِلِّ صَخْرَةٍ فِي مَكَانٍ ثَرْيَانَ، إِذْ تَضَرَّبَ الْحُوتُ وَمُوسَى نَائِمٌ، فَقَالَ فَتَاهُ: لَا أُوقِظُهُ حَتَّى إِذَا اسْتَيْقَظَ نَسِيَ أَنْ يُخْبِرَهُ، وَتَضَرَّبَ الْحُوتُ حَتَّى دَخَلَ الْبَحْرَ، فَأَمْسَكَ اللَّهُ عَنْهُ جِرْيَةَ الْبَحْرِ، حَتَّى كَأَنَّ أَثَرَهُ فِي حَجَرٍ - قَالَ لِي عَمْرٌو: هَكَذَا كَأَنَّ أَثَرَهُ فِي حَجَرٍ، وَحَلَّقَ بَيْنَ إِبْهَامَيْهِ وَالَّتِينِ تَلِيَانِهِمَا - {لَقَدْ لَقِينَا مِنْ سَفَرِنَا هَذَا نَصَبًا}، قَالَ: قَدْ قَطَعَ اللَّهُ عَنْكَ النَّصَبَ - لَيْسَتْ هَذِهِ عَنْ سَعِيدٍ أَخْبَرَهُ - فَرَجَعَا فَوَجَدَا خَضِرًا - قَالَ لِي عُثْمَانُ بْنُ أَبِي سُلَيْمَانَ - عَلَى طِنْفِسَةٍ خَضْرَاءَ، عَلَى كَبِدِ الْبَحْرِ - قَالَ سَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ - مُسَجًّى بِثَوْبِهِ قَدْ جَعَلَ طَرَفَهُ تَحْتَ رِجْلَيْهِ، وَطَرَفَهُ تَحْتَ رَأْسِهِ، فَسَلَّمَ عليه مُوسَى فَكَشَفَ عَنْ وَجْهِهِ، وَقَالَ: هَلْ بِأَرْضِي مِنْ سَلَامٍ مَنْ أَنْتَ؟ قَالَ: أَنَا مُوسَى، قَالَ: مُوسَى بَنِي إِسْرَائِيلَ؟ قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: فَمَا شَأْنُكَ؟ قَالَ: جِئْتُ لِتُعَلِّمَنِي مِمَّا عُلِّمْتَ رَشَدًا، قَالَ: أَمَا يَكْفِيكَ أَنَّ التَّوْرَاةَ بِيَدَيْكَ، وَأَنَّ الْوَحْيَ يَأْتِيكَ يَا مُوسَى، إِنَّ لِي عِلْمًا لَا يَنْبَغِي لَكَ أَنْ تَعْلَمَهُ، وَإِنَّ لَكَ عِلْمًا لَا يَنْبَغِي لِي أَنْ أَعْلَمَهُ، فَأَخَذَ طَائِرٌ بِمِنْقَارِهِ مِنَ الْبَحْرِ، وَقَالَ: وَاللَّهِ مَا عِلْمِي وَمَا عِلْمُكَ فِي جَنْبِ عِلْمِ اللَّهِ إِلَّا كَمَا أَخَذَ هَذَا الطَّائِرُ بِمِنْقَارِهِ مِنَ الْبَحْرِ، حَتَّى إِذَا رَكِبَا فِي السَّفِينَةِ وَجَدَا مَعَابِرَ صِغَارًا، تَحْمِلُ أَهْلَ هَذَا السَّاحِلِ إِلَى أَهْلِ هَذَا السَّاحِلِ الْآخَرِ، عَرَفُوهُ فَقَالُوا: عَبْدُ اللَّهِ الصَّالِحُ - قَالَ: قُلْنَا لِسَعِيدٍ: خَضِرٌ؟ قَالَ: نَعَمْ - لَا نَحْمِلُهُ بِأَجْرٍ، فَخَرَقَهَا وَوَتَدَ فِيهَا وَتِدًا، قَالَ مُوسَى: {أَخَرَقْتَهَا لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا، لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا إِمْرًا} - قَالَ مُجَاهِدٌ: مُنْكَرًا - (قَالَ أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا)، كَانَتِ الْأُولَى نِسْيَانًا وَالْوُسْطَى شَرْطًا، وَالثَّالِثَةُ عَمْدًا، {قَالَ: لَا تُؤَاخِذْنِي بِمَا نَسِيتُ وَلَا تُرْهِقْنِي مِنْ أَمْرِي عُسْرًا}، لَقِيَا غِلْمَانًا فَقَتَلَهُ - قَالَ يَعْلَى: قَالَ سَعِيدٌ: وَجَدَ غِلْمَانًا يَلْعَبُونَ فَأَخَذَ غُلَامًا كَافِرًا ظَرِيفًا فَأَضْجَعَهُ ثُمَّ ذَبَحَهُ بِالسِّكِّينِ - {قَالَ: أَقَتَلْتَ نَفْسًا زَكِيَّةً بِغَيْرِ نَفْسٍ} لَمْ تَعْمَلْ بِالْحِنْثِ - وَكَانَ ابْنُ عَبَّاسٍ قَرَأَهَا زَكِيَّةً (زَاكِيَةً): مُسْلِمَةً كَقَوْلِكَ غُلَامًا زَكِيًّا - فَانْطَلَقَا فَوَجَدَا جِدَارًا يُرِيدُ أَنْ يَنْقَضَّ، فَأَقَامَهُ - قَالَ سَعِيدٌ بِيَدِهِ هَكَذَا، وَرَفَعَ يَدَهُ فَاسْتَقَامَ، قَالَ يَعْلَى: حَسِبْتُ أَنَّ سَعِيدًا قَالَ: فَمَسَحَهُ بِيَدِهِ فَاسْتَقَامَ - {لَوْ شِئْتَ لَاتَّخَذْتَ عليه أَجْرًا} - قَالَ سَعِيدٌ: أَجْرًا نَأْكُلُهُ - {وَكَانَ وَرَاءَهُمْ} وَكَانَ أَمَامَهُمْ - قَرَأَهَا ابْنُ عَبَّاسٍ: أَمَامَهُمْ مَلِكٌ، يَزْعُمُونَ عَنْ غَيْرِ سَعِيدٍ أَنَّهُ هُدَدُ بْنُ بُدَدَ، وَالْغُلَامُ الْمَقْتُولُ اسْمُهُ يَزْعُمُونَ جَيْسُورٌ - {مَلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا}، فَأَرَدْتُ إِذَا هِيَ مَرَّتْ بِهِ أَنْ يَدَعَهَا لِعَيْبِهَا، فَإِذَا جَاوَزُوا أَصْلَحُوهَا فَانْتَفَعُوا بِهَا - وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ: سَدُّوهَا بِقَارُورَةٍ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ بِالْقَارِ - {كَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ} وَكَانَ كَافِرًا {فَخَشِينَا أَنْ يُرْهِقَهُمَا طُغْيَانًا، وَكُفْرًا} أَنْ يَحْمِلَهُمَا حُبُّهُ عَلَى أَنْ يُتَابِعَاهُ عَلَى دِينِهِ، (فَأَرَدْنَا أَنْ يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْرًا مِنْهُ زَكَاةً) لِقَوْلِهِ: {أَقَتَلْتَ نَفْسًا زَكِيَّةً} {وَأَقْرَبَ رُحْمًا} هُمَا بِهِ أَرْحَمُ مِنْهُمَا بِالْأَوَّلِ، الَّذِي قَتَلَ خَضِرٌ - وَزَعَمَ غَيْرُ سَعِيدٍ: أَنَّهُمَا أُبْدِلَا جَارِيَةً، وَأَمَّا دَاوُدُ بْنُ أَبِي عَاصِمٍ فَقَالَ: عَنْ غَيْرِ وَاحِدٍ: إِنَّهَا جَارِيَةٌ - البخاري (ت ٢٥٦)، صحيح البخاري ٤٧٢٦ • [صحيح]

فأخذ معه فتاه، وانتبه فهذا يربي عند الأتباع عكس ما أنت متخيل، أنت متخيل أن صورتك ستهتز أمام الأتباع بل بالعكس هذا يربي عند الأتباع التواضع والبحث عن العلم وأن فوق كل ذي علم عليم.

فهنا في هذه اللحظة ذهب سيدنا موسى إلى يوشع بن نون وهذا مهم جدًا جدًا، ومعنا اليوم كثير في القصة قضية العلاقات الاجتماعية والترتيبات في العلاقات، وأن كل العلاقات طبيعي أن يوضع لها ضوابط وشروط، ويمكن للعلاقات أن تهدم وتفكك هذا طبيعي، القصة مليئة بقضية العلاقات الاجتماعية.

بدأت القصة معنا أن سيدنا موسى يريد أن يذهب ليتعلم من الخضر، لأن لديه علم غريب ليس عند سيدنا موسى.

سيدنا موسى معه الشريعة والتوراة فهنا بداية اللحظة المهمة جدًا هي {وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِفَتَاهُ} [الكهف ٦٠]، العلماء تحدثوا ما علاقة هذه القصة فجأة بالسياق الذي نتحدث فيه في سورة الكهف والمشركين يتكبرون ولا يريدون أن يحضروا مجلس النبي ﷺ، وبعد ذلك بيان أن المال والبنون زينة الحياة الدنيا كما تحدثنا في المجلس الماضي.

بعض العلماء قال إشارة لطيفة وإن كنت أظن المعنى أعمق من هذا، ولكنها تُقبل ولها دلالة، قال انظر إلى الفارق كيف تكبر المشركون عن حضور مجالس النبي ﷺ وانظر إلى تواضع موسى عليه السلام كيف ذهب ويتعلم ويبحث عن العلم.

وقيل معنى أشار إليه الطبري معنى بديع جدًا حقيقةً أن الناظر في موقف المشركين وتجبرهم وغلوهم وتماديهم إذا نظر إلى معاملة الله للمشركين قد يتعجب كيف يمهلهم الله؟!

عندما ينظر إلى تجبر المشركين وتعذيبهم للمؤمنين وتسلطهم، ما هذا !!!

الظاهر من هذا المشهد يجعله يتعجب كيف يتركهم الله؟ كيف يهملهم الله؟ وفي الباطن أن الله ﷻ لم يهملهم ولكن الله ﷻ أمهلهم وأن العاقبة للمؤمنين.

فالظاهر من المشهد قد تنقبض منه الصدور لكن الباطن والمآلات والعاقبة فيها الخير المبين، وهذا الذي حدث في قصة موسى مع الخضر، أن الذي كان ينظر لظاهر الإحداث من خرق السفينة وقتل الغلام

وإقامة الجدار قد ينقبض صدره كما حدث مع موسى عليه السلام ولكن الباطن في الأمر والمآلات والعاقبة كانت رحمة لهؤلاء.

فإذًا هذا الرابط العجيب الذي ربط به الإمام الطبري عليه رحمة الله وكان ربطًا بديعًا حقيقةً، لأن هذا يساعدنا في أننا نسقط هذه الأحداث على واقعنا، لأننا يمكن أن نرى الواقع مأساوي ومظلم ومليء بالتشريد والتعذيب والقتل، لكن العاقبة والمآلات وباطن الأمور رحمة للمؤمنين، هذا مما قيل في ربط هذه الآيات.

❖ مهارة اختيار الرفيق

{وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ} بدأت القصة بقول موسى عليه السلام، ماذا سيقول موسى؟ قال {لِفَتَاهُ} هنا لفتاه وليس لفتيانه هو اختار واحدًا، وهنا حسن اختيار من يصحبك في رحلتك ولا سيما إذا كانت رحلة شاقة، أن يكن عندك قدرة على حسن الاختيار، اختيار الصديق صديق طلب العلم، غير معقول أن يكون شخص متميز جدًا جدًا في العبادة وطول العبادة وليس لديه طول بال على العلم وتختاره رفيقًا لك في العلم أو في جرد المطولات، هو ليس من أهل هذا الباب أنت ممكن تصحبه في قيام الليل، ممكن تصحبه في أوراد الأذكار، فإذًا أن يكون عندك القدرة على اختيار الرفيق المناسب لطبيعة المرحلة أو لطبيعة العمل، لا تكن مثلًا تريد أن تقرأ كتابًا في أصول الفقه مثلًا ويكون هو شخص ليس له علاقة بهذا الباب هو مهتم بقضايا وعظية معينة فسيمل منك سريعًا، طبيعة الاختيار.

لذلك سيدنا موسى كان يوضح له طبيعة الطريق لما اختار الفتى فتى نجيبًا، وبالفعل سبحان الله هذا الفتى الذي تقرأ قصته مع سيدنا موسى وقد يكون بالنسبة لك مجرد فتى يقول له موسى أفعل كذا وبعدها يقول له نسيت، ثم يختفي ذكره تمامًا بمجرد أن يلتقي موسى بالخضر!

وقد تشعر أن دوره في القصة جاء تكميليًا، هذا الفتى هو **يوشع بن نون** الذي سيُفتح على يديه بعد أن يموت موسى عليه السلام كما قال أغلب المفسرين في التيه، وهو الذي يكمل النصر وهو الذي سيُفتح على يديه.

فأنت **لا تستقل أبدًا ما تقدمه** كمعلم أو كمربي، أنت لا تدري قيمة ما تقول وماذا سيفعل بعدك هذا، هذا قد يحمل الراية قد يُكمل المسير ، قد ينشر العلم أنت لا تدري ما الذي سيفعله هذا الغلام أو هذا الفتى.

❖ وضوح هدف سيدنا موسى:

{وَإِذ قَالَ مُوسَىٰ لِفَتَىٰهُ} نَسَبَ الفتى إليه لأنه جاء ليخدمه، قال له {لَآ أَبرَحُ} ليُبَيِّنَ له طبيعة الطريق، وأن الطريق شاقٌّ وطويل، ويبين له عزيمة موسى{لَآ أَبرَحُ} أي لا أزال {حَتَّىٰٓ أَبلُغَ مَجمَعَ ٱلبَحرَينِ} يقول له سيدنا موسى أنَّ له هدفًا مُحددًا يذهب إليه، وهذا أيضًا مهم لتحديد العلاقة، يُخبره أنَّ له هدفًا مُحَدَّدًا يتَّجه إليه وهو مجمع البحرين، لن أستريح حتى أصل، حتى لا تظن أنَّنا سنستريح ثُمَّ نتحرك، فالطريق مُستمر، والعزيمة مستمرة.

❖ نتعلم من عزيمة كليم الله " لَآ أَبرَحُ حَتَّىٰٓ أَبلُغَ "

{لَآ أَبرَحُ حَتَّىٰٓ أَبلُغَ مَجمَعَ ٱلبَحرَينِ أَوۡ} ماذا إذا لم أصل إلى مجمع البحرين؟! {أَوۡ أَمضِيَ حُقُبًا} تَخَيَّل الحقب هو ما يعادل الثمانين سنة، أو أيًّا كانت الأقوال التي قيلت فيه، وجاءت بصيغة الجمع، أي أنه يقول له حتى لو سأظل سائرًا لسنوات، تأمل القصة، سبحان الله! تجد في بداية القصة سيدنا موسى واقفًا يتكلَّم مع فتاه ويقول {لَآ أَبرَحُ حَتَّىٰٓ أَبلُغَ مَجمَعَ ٱلبَحرَينِ} هذه من الشعارات القرآنية أن تقولَ لنفسك: "لا أبرح حتى أبلغ ...".

❖ إشكالية الملل:

ليتنا نمتلك مثل هذه العزيمة، لكننا للأسف مع مرور الزمن ووجود الإنترنت ووسائل التواصل الاجتماعي قد سَهُلَ العلم على البشر، ومع وجود المساقات والأكاديميات المتواجدة على الانترنت، سَهُل طلب العلم على الناس، لكن للأسف بعض الناس حدَثَ له نوعٌ مِنَ العجلة، وأصبح –كما ذكرت من قبل في درس قضية العزوف عن الطرق الطويلة– أصبح الناس يَمَلُّون سريعًا، يريدون التغريدة، ويُريدون المقطع الذي لا يتجاوز دقيقتين، يريدون الخلاصة، صار هناك نوعٌ من الملل، وقضية الملل –فقط لا أريد أن أتَطَرَّق خارج الدرس كثيرًا– قضية الملل هي قضية مهمة جدًّا أرجو أن أتحدث عنها، إشكالية الملل أنَّ الناس قد صارت تَمَلُّ سريعًا، يُريدون شيخًا آخر لأنهم قد ملوا هذا الشيخ، يريدون درسًا آخر، يريدون

الخلاصة، يزيدون من سرعة المقطع، فمنكم من يشاهدني الآن ويزيد من سرعة الفيديو مرة ونصف مثلًا، دائمًا يوجد ملل! يُذاكر بعض الوقت، ثم يبحث عن كتابٍ آخر، دائمًا توجد حالة من الملل التي صارت طبيعة للحياة، يقلب على الفيس بوك أو تويتر أو غيره ما بين خبرٍ محزنٍ وخبرٍ مفرحٍ، دائمًا توجد حالة من عدم القدرة على الصبر على قراءة كتاب أو مقالة طويلة أو مشاهدة فيديو ساعتين أو سماع سلسلة من أربعين أو خمسين درسًا أو مئة درسٍ، صارت هنالك حالة من الملل، وكان عبد الله بن عمرو بن العاص يقول "أنا لا أَمَلُّ، لا أَمَلُّ ثوبي، ولا أَمَلُّ زوجتي، ولا أَمَلُّ دابتي" طالما تفي بالغرض فلا أَمَلُّها، و كان لابن حزم كلامٌ طيب في الملال وخطورته.

✓ علينا العزم على السير في الطرق الطويلة

الخلاصة أن نرى هنا العزم على السير في الطرق الطويلة، فإذا نويتَ تَعَلُّم الفقه أو الدعوة أو نويتَ حِفظ القرآن، فلا بد أن تُوَطِّن نفسك على السير في الطرق الطويلة، لكن للأسف يقول أحدهم الآن أريد تعلم كذا، فتقول له: جيد، ثُمَّ ماذا؟ فيقول لك أتُوجد دروس؟ تقول له توجد دروس وسلاسل، فيكون السؤال التالي مباشرةً "كم من الوقت يستغرقه كل هذا؟"، يريد أن يصل إلى نهاية الطريق سريعًا، لكن سيدنا موسى قال {أَوۡ أَمۡضِيَ حُقُبٗا}[الكهف ٦٠] وقع هذه الكلمة على الفتى "لن يؤثر فيه شيئاً".

○ {فَلَمَّا بَلَغَا مَجۡمَعَ بَيۡنِهِمَا نَسِيَا حُوتَهُمَا فَٱتَّخَذَ سَبِيلَهُۥ فِي ٱلۡبَحۡرِ سَرَبٗا}[الكهف ٦١]

اصطحب موسى معه العزيمة وانطلق، فكانت الكلمة التي تليها مباشرة {فَلَمَّا بَلَغَا}[الكهف ٦١] فإذا سمعت قول سيدنا موسى {لَآ أَبۡرَحُ حَتَّىٰٓ أَبۡلُغَ}[الكهف ٦٠] ظننت أنه لن يبلغ إلا بعد جزأين أو ثلاثة، {فَلَمَّا بَلَغَا} لكنها كانت الآية التالية مباشرةً، فلم تكن مجرد كلمات من سيدنا موسى، بل قال وطَبَّقَ ما قال. كمن قال أريد أن أحفظ القرآن، ثُمَّ ذهب وحفظ بالفعل وأنهى البقرة وآل عمران.

فمن الممكن أن تُقابل أحدهم فيقول لك "أريد حفظ القرآن، وقد خرجت بعزيمة كبيرة من رمضان أو غيره من مواسم الطاعات، أو أريد كذا.."، ثم تلاقيه بعد عام فيقول "وأنوي -بإذن الله- والله يعلم نِيَّتي"! وكلما قابلته يقول شعارات، والوقت يمر، فماذا فعلتَ؟ لكن سيدنا موسى قال {لَآ أَبۡرَحُ حَتَّىٰٓ أَبۡلُغَ}، فتأتي فاء السرعة {فَلَمَّا بَلَغَا مَجۡمَعَ بَيۡنِهِمَا} الآية التالية مباشرةً، {لَآ أَبۡرَحُ حَتَّىٰٓ أَبۡلُغَ} ثم {فَلَمَّا بَلَغَا} وصل المكان الذي كان يقول عنه {أَمۡضِيَ حُقُبٗا}.

لنضع تلك القاعدة في درس اليوم، طوال حديثنا عن الآيات ستُقابلنا كثيرٌ من الخلافات بين المفسرين في عدة قضايا أرى أنها لن تؤثر معنا على المستوى التربوي الذي نتحدث فيه، لا أريد أن أقول أنها ليست مهمة، فطالما تحدث عنها العلماء فقد يكون لها أهميةٌ ما في ضبط معنى أو وصف شيء في فهم كلام كتاب الله، لكن بالنسبة للقضايا التربوية فلا ننشغل بذلك، لذا سأحيل إلى الخلافات ومن أراد فليبحث فيها.

{فَلَمَّا بَلَغَا مَجْمَعَ بَيْنِهِمَا}[الكهف ٦١] فيوجد خلافٌ طويلٌ عن مكان مجمع البحرين؟ وما هما هذان البحران؟ وأين هذا المكان؟ خلاصة الأمر أن المكان كان بعيدًا، وسافر إليه موسى حتى تعب، وكان في البحر {مَجْمَعَ ٱلْبَحْرَيْنِ}[الكهف ٦٠] فكانوا في قاربٍ يحملهم.

{فَلَمَّا بَلَغَا مَجْمَعَ بَيْنِهِمَا نَسِيَا حُوتَهُمَا}[الكهف ٦١] في الحديث أن موسى لما قال لفتاه لا أكلفك إلا أن تُخْبِرَنِي إذا بَلَغْنا مجمع البحرين، وتخبرني إذا حدث للحوت هكذا، فقال يوشع بن نون (ما كلّفت كثيرًا)، تشعر من هذه القصة –سبحان الله– أنَّ كل من لم يلتفت إلى حول الله وقوته، ويلتفت إلى نفسه يحدث له شيئًا ما يُذَكِّرْه، فيوشع بن نون قال (ما كلّفت كثيرًا) هذا فقط! وهذا الذي قال عنه (ما كلفت كثيرًا) نسيه يوشع بن نون، فقال الله {نَسِيَا حُوتَهُمَا}.

وقف العلماء عند كلمة {نَسِيَا حُوتَهُمَا} فقالوا المفترض أن مَنْ نسي هو يوشع بن نون، والدليل على هذا سواء الحديث أن موسى كان نائمًا، ويوشع هو مَنْ نَسِيَ، أو الدليل الثاني أن يوشع نفسه قال {فَإِنِّى نَسِيتُ ٱلْحُوتَ}[الكهف ٦٣] وهنا يقول الله {نَسِيَا حُوتَهُمَا}[الكهف ٦١].

من أراد الرجوع إلى اختيارات المفسرين وأقوال السلف أحيله إلى التفسير المحَرَّر على موقع الدرر السنية، وتجد في هوامشه من اختار كل قول من أقوال المفسرين إذا أردت الإطلاع عليها، فنجد أن العلماء وقفوا على {نَسِيَا حُوتَهُمَا} قالوا ألم يكن يوشع بن نون هو من نَسِيَ! إذًا فَلِمَ نُسب النسيان إليهما؟ قال كثيرٌ من المفسرين أنه نُسب إلى أحدهما حقيقة وهو يوشع وإلى الآخر مجازًا وهو موسى، وأن هذا نوعٌ من التكمين أو نوعٌ من المواساة.

وقال بعض العلماء أن النسيان نُسِبَ إليهما حقيقةً وأنَّ المسؤول عن شيءٍ لا يتغافل عنه ويتركه كُلِيَّةً لمجرد أنه قد كَلَّفَ أحدهم ليقوم به، فيتركه يدير بالأمور لكن لا بد أن يُتابعه {إِلَّا مَا دُمتَ عَلَيهِ قَآئِمًا}[آل عمران ٧٥] فكثير من الأعمال لو تركتها بالكُلِّيَّة مِنَ الممكن ألا تَتِم، فلا بد من المتابعة،

فتقول مثلًا أنا سأفعل كذا وسأسألك عن كذا، أو سأسألك عن كذا بعد أن أستيقظ، فقالوا أن المسؤولية كانت مُشتركة.

وهذه قصةٌ طويلة، فلو سألني أحدهم إذا كَلَّفتُ أحدًا بعملٍ، هل أكونُ مطالبٌ بإتمامه؟! فسأقول لا، ولكن هذا هو الأفضل.

{نَسِيَا حُوتَهُمَا}[الكهف ٦١] ولأن هذه المسؤولية وهذا الطريق قد اختاره موسى؛ فمن المفترض أن يكون هو دائم البحث والتفكير ودائم الإنتظار لهذا العمل.

- إذا أراد الله أن يعلمك شئ سيسخره لك

فلما نسيا الحوت {فَٱتَّخَذَ} -أي الحوت- {سَبِيلَهُۥ فِى ٱلْبَحْرِ سَرَبًا} سبحان الله! فجأة أصبح الحوت حيًّا وقَفَزَ في البحر -وقيل في بعض الروايات أنه جاء على عينٍ تُسَمَّى عين الحياة-، وقفز الحوت عندها في البحر وأمسك الله عليه جَرْية البحر كالطاقة أو كالكُوَّة -كالنَفَق- والحوت دخل فيه، أوقف الله الماء ليكون علامة لموسى، إذا أراد الله أن يُعَلِّم عبده شيئًا أوقف له حتى الماء، فإذا أراد الله أن يُعَلِّمُك شيئًا سيوقف لك شيخًا .. سيوقف لك دورة .. يوقف لك شيئًا، فاجعل قلبك دائِمًا معلق بالله.

- {فَلَمَّا جَاوَزَا قَالَ لِفَتَىٰهُ ءَاتِنَا غَدَآءَنَا لَقَدْ لَقِينَا مِن سَفَرِنَا هَٰذَا نَصَبا} [الكهف ٦٢]

{فَٱتَّخَذَ سَبِيلَهُۥ فِى ٱلْبَحْرِ سَرَبًا}[الكهف ٦١] سار الحوت في نفق، فلم يَنتظروا حتى يَصِلوا إلى مكانِ يرتاحوا فيه {فَلَمَّا جَاوَزَا} كلاهما {فَلَمَّا جَاوَزَا قال} موسى { لِفَتَىٰهُ ءَاتِنَا غَدَآءَنَا لَقَد لَقِينَا مِن سَفَرِنَا هَٰذَا نَصَبًا} هنا ملمحٌ جميلٌ -ودائمًا هنا إذا رَجَعت إلى السُّنَّة تكتشف كيف أن السُّنَّة تزيد من فَهْمِ القرآن- هنا يقول سيدنا موسى {ءَاتِنَا غَدَآءَنَا} معنى ذلك أنه لم يأكل شيئًا منذ فترة طويلة، وسفرٍ طويل، لم يأكل طوال سَفَره حتى وَصَل، ولَمَّا أراد أن يأكل الحوت لم يَجِدْه، ثُمَّ يعود إلى الخضر، ولا يوجد طعام حتى ذهب إلى القرية وطافوا عليهم واحِدًا واحِدًا لِيَطعَموهم.

{ءَاتِنَا غَدَآءَنَا لَقَد لَقِينَا مِن سَفَرِنَا هَٰذَا نَصَبًا} فجَمَالُ السُّنَّة يبدو هنا، فقد قال النبي في رواياتٍ كثيرة ((ما مَسَّ موسى النصب حتى جاوز الميقات))[٤]، انظر رحمة الله، قد جعل اللهُ سيدنا موسى لا يشعر بالنصب طوال سيره في الطريق الذي أمره أن يسير فيه، **طالما أنت تسير في مرادِ الله قد تشعر بتعبٍ لا نَصَب**، فالنصب هو التعب المؤلم الذي يجعلك تتألم، فبالطبع وجد سيدنا موسى مَشَقَّة مع السفر وعدم وجود الطعام، فسيدنا موسى كان به من المعاني ما يجعله لا يشعر بالنَّصَب، كالذي يقف في قيام الليل لا يشعر بتورم قدماه كما كان صلى الله عليه وسلم، شعر بالنصب لما جاوزَ.

ما أريد قوله أن الكلمة البديعة التي قالها النبي (ما مس موسى النصب حتى جاوز الميقات) أحيانًا قد نشعر بالنصب ونحن في طريق إلى الله، هذا النصب قد يكون –قد وليس دائمًا– بسبب أننا تجاوزنا مراد الله، ماذا يعني هذا؟ أي بسبب الطمع في الدين، وعدم القناعة، بسبب عدم فهم سنن الله، فكان من

---

[٤] [عن عبدالله بن عباس:] قُلْتُ لابنِ عبَّاسٍ : إنَّ نَوفًا البِكالِيَّ يزعُمُ أنَّ موسى عليه السَّلامُ ليس بصاحبِ الخَضِرِ إنَّما هو موسى آخَرُ قال : كذَب عدوُّ اللهِ أخبَرنا أُبَيُّ بنُ كعبٍ : عن رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم قال : (قام موسى في بني إسرائيلَ خطيبًا فقيل له : أيُّ النَّاسِ أعلَمُ ؟ قال : أنا قال : فعتَب اللهُ عليه إذ لم يرُدَّ العِلمَ إليه فقال : عبدٌ لي بمَجمَعِ البَحرينِ هو أعلَمُ منكَ قال : أيْ ربِّ فكيف لي به ؟ قال : تأخُذُ حُوتًا فتجعَلُه في مِكْتَلٍ فحيثُ ما فقَدْتَ الحُوتَ فهو ثَمَّ قال : فأخَذ الحُوتَ فجَعَله في المِكْتَلِ فدفعه إلى فتاه فانطلَقا حتَّى أتَيا الصَّخرةَ فرقَد موسى فاضطرَب الحُوتُ في المِكْتَلِ فخرَج فوقَع في البحرِ فأمسَك اللهُ عليه جِرْيَةَ الماءِ فصار مِثْلَ الطَّاقِ فكان البحرُ للحُوتِ سرَبًا ولموسى ولفتاه عَجَبًا فانطلَقا بمشيانِ فلمَّا كان مِن الغَدِ وجَد موسى النَّصَبَ فقال : {آتِنَا غَدَاءَنَا لَقَدْ لَقِينَا مِنْ سَفَرِنَا هَذَا نَصَبًا} [الكهف: ٦٢] قال : ولم يجِدِ النَّصَبَ حتَّى جاوَز المكانَ الَّذي أمَره اللهُ جلَّ وعلا فقال له فتاه : {أَرَأَيْتَ إِذْ أَوَيْنَا إِلَى الصَّخْرَةِ فَإِنِّي نَسِيتُ الْحُوتَ وَمَا أَنْسَانِيهُ إِلَّا الشَّيْطَانُ أَنْ أَذْكُرَهُ} [الكهف: ٦٣] قال : {ذَلِكَ مَا كُنَّا نَبْغِ فَارْتَدَّا عَلَى آثَارِهِمَا قَصَصًا} [الكهف: ٦٤] فجعَلا يقُصَّانِ آثارَهما حتَّى أتَيا الصَّخرةَ فإذا رجُلٌ مُسجًّى عليه بثوبٍ فسلَّم فقال : وأنَّى بأرضِك السَّلامُ ؟ قال : أنا موسى قال : موسى بني إسرائيلَ ؟ قال : نَعم قال : يا موسى إنِّي على عِلمٍ مِن عِلمِ اللهِ علَّمنيه اللهُ لا تعلَمُه وأنتَ على عِلمٍ مِن عِلمِ اللهِ علَّمكه لا أعلَمُه قال : إنِّي أُريدُ أنْ أتَّبِعَك على أنْ تُعلِّمَني ممَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا {قَالَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا * وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَى مَا لَمْ تُحِطْ بِهِ خُبْرًا * قَالَ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ صَابِرًا وَلَا أَعْصِي لَكَ أَمْرًا * قَالَ فَإِنِ اتَّبَعْتَنِي فَلَا تَسْأَلْنِي عَنْ شَيْءٍ حَتَّى أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا} [الكهف: ٦٧ - ٧٠] قال : فانطلَقا يمشيانِ على السَّاحلِ فمُرَّت به سفينةٌ فعرَفوا الخَضِرَ فحَملوه بغيرِ نَوْلٍ قال : فلم يفجَأْ موسى إلَّا وهو يُنزِلُ لَوحًا مِن ألواحِ السَّفينةِ فقال له موسى : ما صنَعْتَ ؟ قومٌ حَملوك بغيرِ نَوْلٍ عَمَدْتَ إلى سفينتِهم فخرَقْتَها {لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا إِمْرًا * قَالَ أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا * قَالَ لَا تُؤَاخِذْنِي بِمَا نَسِيتُ وَلَا تُرْهِقْنِي مِنْ أَمْرِي عُسْرًا} [الكهف: ٧١ - ٧٣] قال : فكانتِ الأُولى مِن موسى نسيانًا قال : وجاء عُصفورٌ فوقَع على حرفِ السَّفينةِ فنقَر بمِنقارِه في البحرِ فقال الخَضِرُ لموسى : ما نقَص عِلمي وعِلمُك مِن عِلمِ اللهِ إلَّا مِثلَ ما نقَص هذا العُصفورُ بمِنقارِه مِن البحرِ قال : ومَرُّوا على غِلمانٍ يلعَبون فقال الخَضِرُ لغلامٍ منهم بيدِه هكذا فاقتلَع رأسَه فقال له موسى : {أَقَتَلْتَ نَفْسًا زَكِيَّةً بِغَيْرِ نَفْسٍ لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا نُكْرًا * قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا * قَالَ إِنْ سَأَلْتُكَ عَنْ شَيْءٍ بَعْدَهَا فَلَا تُصَاحِبْنِي قَدْ بَلَغْتَ مِنْ لَدُنِّي عُذْرًا} [الكهف: ٧٤ - ٧٦] قال : فأتَيا {أَهْلَ قَرْيَةٍ اسْتَطْعَمَا أَهْلَهَا فَأَبَوْا أَنْ يُضَيِّفُوهُمَا فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَنْ يَنْقَضَّ} [الكهف: ٧٧] فقال الخَضِرُ بيدِه هكذا فأقامه فقال له موسى : استطعَمْناهم فأبَوْا أنْ يُطعِمونا واستضَفْناهم فأبَوْا أنْ يُضيِّفونا عمَدْتَ إلى حائطِهم فأقَمْتَه {لَوْ شِئْتَ لَاتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا * قَالَ هَذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ سَأُنَبِّئُكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا} [الكهف: ٧٧، ٧٨] فقال رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم : ووددْنا أنَّ موسى كان صبَر حتَّى يُقَصَّ علينا مِن أمرِهم) وكان ابنُ عبَّاسٍ يقرأُ : وأمَّا الغلامُ كان كافرًا وكان أبواه مُؤمنَيْنِ، ويقرأُ : وكان أمامَهم ملِكٌ يأخُذُ كلَّ سفينةٍ صالحةٍ غَصْبًا

ابن حبان (ت ٣٥٤)، صحيح ابن حبان ٦٢٢٠ • أخرجه في صحيحه

الممكن أن يقول أي شخص "أمن المعقول أن أشعر بالنصب وأنا أذهب لأتعلَّم عن الله؟" نعم، لأنك أنت من تسببت في هذا النصب، أنت من تَجاوزت الميقات؛ بالتأكيد لا أقصد سيدنا موسى.

✓ من المهم فهم سنن الله في معاملته مع عباده

إذًا فمن الممكن أن يتعب المرء في طريق الله، ويعاتب الله ولو داخليًّا ويكونُ هو المخطئ لأنه لا يفهم سنن الله، أي أنَّ عدم فهم السنن وعدم فهم معاملة الله للعبد وعدم فهم قصة كهذه –أن هناك أحداث من الممكن ألا تفهم الحكمة منها وتُسَلِّم فيها لله– قد يجعل الإنسان يشك ويشتكي، فعدم فهم السُّنن وعدم الرضا بقضاء الله وقدره قد يجعل الإنسان يشك ويشتكي.

فإذاً من المهم فهم وجود السنن، وأنه توجد قضايا تغيب عنا الحكمة منها، وأن معاملة الله تكون بطريقة مُعيَّنة، ولا ينبغي أن يكون كلُّ شيءٍ مُعَجلًا، فالقراءة عن سنن الله وعن معاملة الله مُهِمَّة.

○ {قَالَ أَرَءَيْتَ إِذْ أَوَيْنَآ إِلَى ٱلصَّخْرَةِ فَإِنِّى نَسِيتُ ٱلْحُوتَ وَمَآ أَنسَىٰنِيهُ إِلَّا ٱلشَّيْطَٰنُ أَنْ أَذْكُرَهُۥ ۚ وَٱتَّخَذَ سَبِيلَهُۥ فِى ٱلْبَحْرِ عَجَبًا} [الكهف ٦٣]

إذًا فَلمَّا تجاوز موسى الميقات شعر بنصبٍ قال {ءَاتِنَا غَدَآءَنَا لَقَد لَقِينَا مِن سَفَرِنَا هَٰذَا نَصَبًا * قَالَ أَرَءَيْتَ} ماذا حدث؟! قال له: الحوت {قَالَ أَرَءَيْتَ إِذْ أَوَيْنَآ إِلَى ٱلصَّخْرَةِ} منذ فترة لما أخذنا قِسطًا من الراحة عند الصخرة {فَإِنِّى نَسِيتُ ٱلْحُوتَ} أتقصد الذي كَلَّفْتُك بمُراقبته؟ قال: نعم هو {فَإِنِّى نَسِيتُ ٱلْحُوتَ}.

لما تأملت، وجدُّت معنًى شعرتُ به، وأسعدني جدًّا أنِّي وجدُّت أحد المفسرين تحدث فيه، تَعَجَّبتُ من قول يوشع {فَإِنِّى نَسِيتُ ٱلْحُوتَ وَمَآ أَنسَىٰنِيهُ إِلَّا ٱلشَّيْطَٰنُ}، ما تَعَجَّبت له هو أن يكون سيدنا يوشع في قارب مع سيدنا موسى فقط، ومعهم حوت سيأكلونه؟ ثُمَّ يرى الحوت قد حَيِيَ، وقفز في البحر! سبحان الله! ثم بعد هذا! لو كنتُ في موضع سيدنا يوشع لفَزِعتُ وأيقظتُ موسى ليرى الحوت، لكن سيدنا يوشع لم يفزع من المشهد، رأى المشهد ورأى شيئًا عجيبًا وتعجَّب، فكيف ينساه؟ كيف لسيدنا يوشع أن ينسى حوتًا كان ميتًا ثم حَيِيَ وقفز في البحر؟! كيف؟ فإما أنه من شدة حرص الشيطان على ألا يلتقي موسى بالخضر، فقد شغل ذهن سيدنا يوشع بصورة متواصلة حتى قال له سيدنا موسى {ءَاتِنَا غَدَآءَنَا}، تأمل الجهد المتواصل للشيطان، كلما أراد أن يُخبره، ذَكَّرَه بشيءٍ آخر، يُذَكِّره بهمومه، وهذا

يحدث معنا ونحن نصلي مثلًا "الله أكبر" فتتذكر! حتى تنتهي وتقول السلام عليكم ورحمة الله، فتقول أين كنتُ؟

أو يوجد معنىً آخر، أن بني إسرائيل –وقد أفردت لهذا المعنى درسًا من قبل– كانوا لا يتعجبون لكثرة ما رأوا من آيات، آيات متتالية، الحجر ينشق، نزول المن و السلوى من السماء، وقد أخبرتكم فيما مضى بقصة موسى عليه السلام لما اتُّهِم بأنه قالوا عنه أنه آدَر، وبه عيبٌ في الخلقة، ثم بَرَّأَه الله، وفي صحيح البخاري أن موسى وضع ثيابه ثم دخل يغتسل وكان بنو إسرائيل يغتسلون عرايا، و كان موسى رجلًا حَيِيًّا، فكان يضع ثيابه على صخرة ودخل يغتسل في البحر فأراد الله أن يُبَرِّئ موسى فتحرك الصخر بثياب موسى وخرج موسى يجري عُريانًا وقال "يا حجر ثوبي يا حجر" فجرى وراء الحجر، فلما رآه بنو إسرائيل علموا أنه من أحسن الناس خلقة ولم يُفزِعهم أنهم رأوا الصخر يجري! تخيل أن بنو إسرائيل رأوا من يجري وراء صخرة تحمل ثيابه!! لو كنتَ أنت فإلامَ ستنظر؟ خلقته أم الصخر الذي يجرى؟ فبنو إسرائيل اعتادوا الأمر، فلما رأوا الصخر قالوا سبحان الله! ظلمنا سيدنا موسى فعلًا .. فبنو اسراءيل كانوا يَرَون الكثير من الآيات، وهذا قد يكون أحد الأسباب.

❖ حرص الشيطان على عدم التقاء الصالحين

ثم قال يوشع بن نون {فَإِنِّى نَسِيتُ ٱلْحُوتَ وَمَآ أَنسَىٰنِيهُ إِلَّا ٱلشَّيْطَٰنُ} من أَشَاد بهذا المعنى هو الشيخ مصطفى البحياوي –حفظه الله– في شرحه لسورة الفتح، قال: إن هذه (هاء) لم تأت مضمومة في حفص إلا في موطنين، أحدهما في سورة الفتح {وَمَن أَوْفَىٰ بِمَا عَٰهَدَ عَلَيْهُ ٱللَّهَ}[الفتح ١٠] وهنا {وَمَآ أَنسَىٰنِيهُ}[الكهف ٦٣] وأن الضم فيه نوعٌ من الثقل والمشقة والصعوبة وهناك تكلم عن معنى الوعد والعهد وصعوبته، وهنا تكلَّم عن خطورة وشغل الشيطان {وَمَآ أَنسَىٰنِيهُ إِلَّا ٱلشَّيْطَٰنُ} لذا لم يذكر الشيطان في القصص الأربعة إلا هنا.

فذُكِرَ إبليس كتعقيب على قصة صاحب الجنتين، لكن لم يذكر الشيطان إلا في هذه القصة، فهنا تجد حرص الشيطان على منعك من التعلم، وكما قال ابن عاشور "وانظر الى حرص الشيطان على عدم التقاء الصالحين"، دائمًا لا يريد الشيطان أن يتجالس الصالحون، لأنهم إذا تجالسوا سيتعلمون، ويعملون للدعوة، فإذا تجالسوا فَرَّقَ بينهم، فانظر إلى حرص الشيطان على منع التقاء الصالحين وعلى فضِّ مجالس العلم، فقلما استمرت مجالس العلم، حَرِصَ الشيطان على فضِّها.

لأنه إذا غاب العلم، فمِنَ الممكن أن يحدث كل شيء، الخرافات والبدع و العبادة على ضلال فلا يقبلها الله، يقول البقاعي كلمة جميلة "كانت هذه القصة لِطَوَاف رجلٍ -أي موسى- في الأرض لطلب العلم، ثُمَّ جاءت قصة لِطَواف رجلٍ في الجهاد، فَقُدِّمَ العلم على الجهاد.

فلكي ينضبط الجهاد فإنه يحتاج للعلم، ولكي تنضبط العبادة فإنها تحتاج إلى العلم؛ فمن هنا تكون خطورة غياب العلم، لذلك القصة الوحيدة التي جاء فيها الشيطان كانت هنا؛ فاعلم دائمًا أنَّ الشيطان كلما ذهبت لتتعلم، فإنه يريد أن يصدك عن التعلم، ولاسِيَّما علوم الوحي وعلوم القرآن {فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ}[النحل ٩٨] فكُلَّما أردت أن تتعلم كلام الله، يصدك الشيطان عن هذا العلم.

- سورة الكهف هي سورة التذكرة وبالرغم من ذلك تكرر فيها النسيان

من المعاني الغريبة هنا أيضًا والتي لاحظتها سواء هنا في هذه القصة أو في السورة، تكرار "النسيان"، كما في {نَسِيَا حُوتَهُمَا}[الكهف ٦١] {فَإِنِّي نَسِيتُ ٱلْحُوتَ}[الكهف ٦٣] {وَمَآ أَنسَىٰنِيهُ إِلَّا ٱلشَّيْطَٰنُ}[الكهف ٦٣] {لَا تُؤَاخِذْنِي بِمَا نَسِيتُ}[الكهف ٧٣]، نجد أن النسيان تكرر أربع أو خمس مرات في هذه القصة فقط، وفي أول السورة { وَاذْكُر رَّبَّكَ إِذَا نَسِيتَ}[كهف ٢٤]، قضية النسيان مهمة جدًا لماذا؟

نحن قلنا أن سورة الكهف أصلًا هي التذكِرة، لاسيما لو أخذنا بالحديث الأسبوعي فتكون التذكِرة الأسبوعية، سورة الكهف التي تعطيك النور وتعطيك الرشد وتمنعك من الفتن، ولكي تحصل على تلك المعاني، لكي تحصل على النور تحتاج أن تكون دائم التذكر، لأنك تنسى.

لاأحد يقول: "أنا وصلت إلى أن نور سورة الكهف ورشد سورة الكهف في صدري، والحمد لله أني أُجار من الفتن"، لا هو محتاج، لذلك كما قلت لكم أن سورة الكهف من المعاني التي ممكن أن تقرأ أسبوعياً، فالإنسان ينسى، بل من المعاني العظيمة هنا قضية الأقدار والرضا والفهم أن كل شيء رحمة من الله، تحتاج أن تكون -لا قدر الله- قبل أن تحدث أي مصيبة تكون دائم الاستعداد، تكون مستعدًا، إيمانك جاهز ((إنما الصبر عند الصدمة الأولى))[٥]، يكون عندك لياقة إيمانية.

---

[٥] [عن أنس بن مالك:] مَرَّ النبيُّ ﷺ بامْرَأَةٍ تَبْكِي عِنْدَ قَبْرٍ، فَقالَ: اتَّقِي اللَّهَ واصْبِرِي قالَتْ: إلَيْكَ عَنِّي، فإنَّكَ لَمْ تُصَبْ بمُصِيبَتِي، ولَمْ تَعْرِفْهُ، فقِيلَ لَها: إنَّه النبيُّ ﷺ، فأتَتْ بابَ النبيِّ ﷺ، فَلَمْ تَجِدْ عِنْدَهُ بَوّابِينَ، فَقالَتْ: لَمْ أَعْرِفْكَ، فَقالَ: إنَّما الصَّبْرُ عِنْدَ الصَّدْمَةِ الأُولى.
البخاري (ت ٢٥٦)، صحيح البخاري ١٢٨٣ • [صحيح] • أخرجه البخاري (١٢٨٣)، ومسلم (٩٢٦)

فتكرار النسيان في هذه السورة علامة –والله أعلى وأعلم– وإشارة أن قضية النور تحتاج أن تتذكر دائماً، لأن هذا النور الذي تحصله يتبدد بانشغالك بالحياة والأسباب والعلاقات فتحتاج أن تكرره مرة أخرى.

- اختلف المفسرين على "من الذي اتخذ سبيله"

{وَمَآ أَنسَىٰنِيهُ إِلَّا ٱلشَّيطَٰنُ أَن أَذكُرَهُۥۚ وَٱتَّخَذَ سَبِيلَهُۥ فِى ٱلبَحرِ عَجَبا}[الكهف ٦٣] نحن مازلنا في بداية القصة وإن شاء الله سننهيها اليوم، نحن قلنا لايوجد ملل، ويجب أن يكون عندكم طول نفس.

{وَٱتَّخَذَ سَبِيلَهُۥ فِى ٱلبَحرِ عَجَبا} العلماء اختلفوا من فاعل اتخذ؟؟ أي من اتخذ سبيله؟

هل اتخذ موسى عليه السلام سبيل الحوت عجبًا؟ أي تعجب لما قال له لقد حدث كذا وكذا، فاتخذ موسى عجباً، أم اتخذ الحوت سبيله؟

أغلب المفسرين قالوا اتخذ الحوت، وإن كان البعض قال اتخذ موسى عليه السلام سبيل الحوت، أي إذا فككنا الضمائر تصبح: واتخذ موسى سبيل الحوت في البحر عجبًا، تعجب هو وصاحبه، ففي بعض الروايات: فكان للحوت سربًا ولموسى عجبًا.

{وَٱتَّخَذَ سَبِيلَهُۥ فِى ٱلبَحرِ عَجَبا}، هل سيدنا موسى ظل يتعاتب هو ويوشع؟ ويقول له كان المفترض أن تخبرني، لا وأنت نمت وتركتني، أنت لم تتابعني لماذا ؟ فيقول له لا هذا كان دورك..، لا لا.. **عندما تكتشف شيئًا في الطريق أصلح مباشرة.**

- {قَالَ ذَٰلِكَ مَا كُنَّا نَبغِۚ فَٱرتَدَّا عَلَىٰٓ ءَاثَارِهِمَا قَصَصا}[الكهف ٦٤]

للأسف يوجد كلام كثير ليس منه فائدة، وكثير من العتاب والنقاشات التي يقع فيها الإنسان – للأسف– هي تضييع وقت، هي استهلاك للنفس، أي استهلاك للنفوس لن تصل به لشيء، فانظر إلى هذا الموقف عندما تقرأه، {قال ذَٰلِكَ مَا كُنَّا نَبغِ} هذا الذي كنا نريده، {فَٱرتَدَّا عَلَىٰٓ ءَاثَارِهِمَا قَصَصا} أيضًا لم يقل ذلك كان دورك، أنا قلت لك هذه وظيفتك، ثم ماذا بعد؟ نحن نريد أن نصلح القضية، الذي يقرأ تلك الآية {فَإِنِّى نَسِيتُ ٱلحُوتَ} ثم يقول له { ذَٰلِكَ مَا كُنَّا نَبغِ}، المهم أن المصلحة تُقضى، المهم أن العمل يتم، فقال {ذَٰلِكَ مَا كُنَّا نَبغِۚ فَٱرتَدَّا عَلَىٰٓ ءَاثَارِهِمَا قَصَصا}.

أتذكر هنا حديث النبي ﷺ عندما قال لسيدنا بلال ((احفظ علينا صلاتنا))[٦] ونام الرسول ﷺ، ونام بلال عليه رضوان الله، فقام النبي ﷺ فقال بلال" أخذ بعيني الذي أخذ بعينك يا رسول الله" الشمس طلعت والناس كلها نامت، سيدنا عمر بن الخطاب قام يكبر، ما هذا! الصلاة فاتتنا، كان مشهدًا عجيبًا مع النبي ﷺ في سفر والصلاة تفوتك، وهذا يسبب نوعًا من الضيق، فالنبي ﷺ قال ((تحولوا عن المكان الذي أصابتكم فيه الغفلة))[٧] وذهبوا وصلوا، قام بالخطوات العملية، حتى لو تريد أن تأخذ نوعًا من أنواع العقاب لشخص فبالخطوات العملية.

قال { ذَٰلِكَ مَا كُنَّا نَبۡغِۚ فَٱرۡتَدَّا} الارتداد بمعنى أنه لم ينتظر لحظة، كما يصطدم شيء في الجدار ويرجع مباشرة، لم يقل له ابحث لنا عن شيء نأكله ثم رجع، {فَٱرۡتَدَّا عَلَىٰٓ ءَاثَارِهِمَا} يتتبعان الآثار {قَصَصا}،

---

[٦] [عن أبي قتادة الحارث بن ربعي:] خَطَبَنَا رَسولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عليه وسلَّمَ، فَقالَ: إنَّكُمْ تَسِيرُونَ عَشِيَّتَكُمْ وَلَيْلَتَكُمْ، وَتَأْتُونَ المَاءَ إنْ شَاءَ اللَّهُ غَدًا، فَانْطَلَقَ النَّاسُ لا يَلْوِي أَحَدٌ علَى أَحَدٍ، قالَ أَبُو قَتَادَةَ: فَبَيْنَا رَسولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عليه وسلَّمَ يَسِيرُ حتَّى ابْهَارَّ اللَّيْلُ، وَأَنَا إلى جَنْبِهِ، قالَ: فَنَعَسَ رَسولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عليه وسلَّمَ، فَمَالَ عن رَاحِلَتِهِ، فأتَيْتُهُ فَدَعَمْتُهُ مِن غيرِ أَنْ أُوقِظَهُ حتَّى اعْتَدَلَ علَى رَاحِلَتِهِ، قالَ: ثُمَّ سَارَ حتَّى تَهَوَّرَ اللَّيْلُ، مَالَ عن رَاحِلَتِهِ، قالَ: فَدَعَمْتُهُ مِن غيرِ أَنْ أُوقِظَهُ حتَّى اعْتَدَلَ علَى رَاحِلَتِهِ، قالَ: ثُمَّ سَارَ حتَّى إذَا كانَ مِن آخِرِ السَّحَرِ، مَالَ مَيْلَةً هي أَشَدُّ مِنَ المَيْلَتَيْنِ الأُولَيَيْنِ، حتَّى كَادَ يَنْجَفِلُ، فأتَيْتُهُ فَدَعَمْتُهُ، فَرَفَعَ رَأْسَهُ، فَقالَ: مَن هذا؟ قُلْتُ: أَبُو قَتَادَةَ، قالَ: مَتَى كانَ هذا مَسِيرَكَ مِنِّي؟ قُلْتُ: ما زَالَ هذا مَسِيرِي مُنْذُ اللَّيْلَةِ، قالَ: حَفِظَكَ اللَّهُ بما حَفِظْتَ به نَبِيَّهُ، ثُمَّ قالَ: هلْ تَرَانَا نُخْفِي علَى النَّاسِ؟ ثُمَّ قالَ: هلْ تَرَى مِن أَحَدٍ؟ قُلْتُ: هذا رَاكِبٌ، ثُمَّ قُلْتُ: هذا رَاكِبٌ آخَرُ، حتَّى اجْتَمَعْنَا فَكُنَّا سَبْعَةَ رَكْبٍ، قالَ: فَمَالَ رَسولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عليه وسلَّمَ عَنِ الطَّرِيقِ، فَوَضَعَ رَأْسَهُ، ثُمَّ قالَ: احْفَظُوا عَلَيْنَا صَلَاتَنَا، فَكانَ أَوَّلَ مَنِ اسْتَيْقَظَ رَسولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عليه وسلَّمَ وَالشَّمْسُ في ظَهْرِهِ، قالَ: فَقُمْنَا فَزِعِينَ، ثُمَّ قالَ: ارْكَبُوا، فَرَكِبْنَا فَسِرْنَا حتَّى إذَا ارْتَفَعَتِ الشَّمْسُ نَزَلَ، ثُمَّ دَعَا بِمِيضَأَةٍ كَانَتْ مَعِي فِيهَا شيءٌ مِن مَاءٍ، قالَ: فَتَوَضَّأَ منها وُضُوءًا دُونَ وُضُوءٍ، قالَ: وَبَقِيَ فِيهَا شيءٌ مَن مَاءٍ، ثُمَّ قالَ لأَبِي قَتَادَةَ: احْفَظْ عَلَيْنَا مِيضَأَتَكَ، فَسَيَكُونُ لَهَا نَبَأٌ، ثُمَّ أَذَّنَ بلَالٌ بالصَّلَاةِ، فَصَلَّى رَسولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عليه وسلَّمَ رَكْعَتَيْنِ، ثُمَّ صَلَّى الغَدَاةَ، فَصَنَعَ كما كانَ يَصْنَعُ كُلَّ يَومٍ، قالَ: وَرَكِبَ رَسولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عليه وسلَّمَ وَرَكِبْنَا معهُ، قالَ: فَجَعَلَ بَعْضُنَا يَهْمِسُ إلى بَعْضٍ ما كَفَّارَةُ ما صَنَعْنَا بتَفْرِيطِنَا في صَلَاتِنَا؟ ثُمَّ قالَ: أَما لَكُمْ فِيَّ أُسْوَةٌ، ثُمَّ قالَ: أَما إنَّه ليسَ فِيَّ النَّوْمِ تَفْرِيطٌ، إنَّمَا التَّفْرِيطُ علَى مَن لَمْ يُصَلِّ الصَّلَاةَ حتَّى يَجِيءَ وَقْتُ الصَّلَاةِ الأُخْرَى، فَمَن فَعَلَ ذلكَ فَلْيُصَلِّهَا حِينَ يَنْتَبِهُ لَهَا، فَإِذَا كانَ الغَدُ فَلْيُصَلِّهَا عِنْدَ وَقْتِهَا، ثُمَّ قالَ: ما تَرَوْنَ النَّاسَ صَنَعُوا؟ قالَ: ثُمَّ قالَ: أَصْبَحَ النَّاسُ فَقَدُوا نَبِيَّهُمْ، فَقالَ أَبُو بَكْرٍ، وَعُمَرُ: رَسولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عليه وسلَّمَ بَعْدَكُمْ، لَمْ يَكُنْ لِيُخَلِّفَكُمْ، وَقالَ النَّاسُ: إنَّ رَسولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عليه وسلَّمَ بَيْنَ أَيْدِيكُمْ، فإنْ يُطِيعُوا أَبَا بَكْرٍ، وَعُمَرَ يَرْشُدُوا. قالَ: فَانْتَهَيْنَا إلى النَّاسِ حِينَ امْتَدَّ النَّهَارُ، وَحَمِيَ كُلُّ شيءٍ، وَهُمْ يقولونَ: يا رَسولَ اللهِ، هَلَكْنَا، عَطِشْنَا، فَقالَ: لا هُلْكَ علَيْكُم، ثُمَّ قالَ: أَطْلِقُوا لي غُمَرِي قالَ: وَدَعَا بالمِيضَأَةِ، فَجَعَلَ رَسولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عليه وسلَّمَ يَصُبُّ، وَأَبُو قَتَادَةَ يَسْقِيهِمْ، فَلَمْ يَعْدُ أَنْ رَأَى النَّاسُ مَاءً في المِيضَأَةِ تَكَابُّوا عَلَيْهَا، فَقالَ رَسولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عليه وسلَّمَ: أَحْسِنُوا المَلَأَ كُلُّكُمْ سَيَرْوَى قالَ: فَفَعَلُوا، فَجَعَلَ رَسولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عليه وسلَّمَ يَصُبُّ وَأَسْقِيهِمْ حتَّى ما بَقِيَ غيرِي، وَغَيْرُ رَسولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عليه وسلَّمَ، قالَ: ثُمَّ صَبَّ رَسولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عليه وسلَّمَ، فَقالَ لِي: اشْرَبْ، فَقُلْتُ: لا أَشْرَبُ حتَّى تَشْرَبَ يا رَسولَ اللهِ، قالَ: إنَّ سَاقِيَ القَوْمِ آخِرُهُمْ شُرْبًا، قالَ: فَشَرِبْتُ، وَشَرِبَ رَسولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عليه وسلَّمَ، قالَ: فأتَى النَّاسُ المَاءَ جَامِّينَ رِوَاءً. ١٥٠٨- قالَ: فَقالَ عبدُ اللهِ بنُ رَبَاحٍ: إنِّي لأُحَدِّثُ هذا الحَدِيثَ في مَسْجِدِ الجَامِعِ، إذْ قالَ عِمْرَانُ بنُ حُصَيْنٍ انْظُرْ أَيُّهَا الفَتَى كيفَ تُحَدِّثُ، فإنِّي أَحَدُ الرَّكْبِ تِلْكَ اللَّيْلَةَ، قالَ: قُلْتُ: فأنْتَ أَعْلَمُ بالحَدِيثِ، فَقالَ: مِمَّنْ أَنْتَ؟ قُلْتُ: مِنَ الأنْصَارِ، قالَ: حَدِّثْ، فأنْتُمْ أَعْلَمُ بحَدِيثِكُمْ، قالَ: فَحَدَّثْتُ القَوْمَ، فَقالَ عِمْرَانُ: لَقَدْ شَهِدْتُ تِلْكَ اللَّيْلَةَ، وَما شَعَرْتُ أَنْ أَحَدًا حَفِظَهُ كما حَفِظْتُهُ.

مسلم (ت ٢٦١)، صحيح مسلم ٦٨١ • [صحيح]

[٧] [عن أبي هريرة:] عن أبي هريرةَ في حديثِ نومِ النبيِّ ﷺ وأصحابِه عن صلاةِ الصبحِ حتى طلعتِ الشمسُ: أنَّ رسولَ اللهِ ﷺ قال لهم: تحوَّلوا عن مكانِكم الذي أصابتكم فيه الغفلةُ، فأمر بلالًا فأذَّنَ وأقام فصلّى

ابن حزم (ت ٤٥٦)، المحلى ٢٠١/٣ • احتج به ، وقال في المقدمة: (لم نحتج إلا بخبر صحيح من رواية الثقات مسند)

يتتبعان الآثار حتى عادا إلى موطن الحوت ورأيا {فَوَجَدَا} من بعد "فوجدا" هذه الضمير أصبح مفردًا، أي تركه يوشع بن نون.

سيدنا يوشع لم يقل له: أنا أتيت معك كل تلك الرحلة فخذني معك للخضر، قل له واستأذنه أن أكون معكما، تجد نضجًا في العلاقات الاجتماعية، وهذا الذي يروقني جدًا في القصة، العلاقات الاجتماعية، النضج في المعاملات، حتى لو حزن الإنسان فإنه يتغلب علي هذا، مثل سيدنا موسى يقول للخضر: لو سألتك عن شيء آخر ممكن أن ننفصل، إذًا واضح أني لا أستطيع أن أتحمل أكثر من هذا، {إِن سَأَلْتُكَ عَن شَىْءٍ بَعْدَهَا فَلَا تُصَٰحِبْنِى}[الكهف ٧٦] وينفصلوا عادي جداً، ويقول له {هَٰذَا فِرَاقُ بَيْنِى وَبَيْنِكَ}[الكهف ٧٨] الطريقين لايسيران مع بعضهما البعض، يوجد نضج في العلاقات.

○ {فَوَجَدَا عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَآ ءَاتَيْنَٰهُ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَعَلَّمْنَٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا} [الكهف ٦٥]

{فَوَجَدَا} فهنا اختفى الفتى، بطريقة عادية -بدون مشاكل-، هذا آخر ضمير مثنى يعود على موسى عليه السلام ويوشع، لأن ضمير المثنى بعد هذا{ فَٱنطَلَقَا}[الكهف ٧١] يعود على موسى والخضر.

{عَبدا} نكرة للتعظيم، {مِّن عِبَادِنَآ} عندما قال ربنا لسيدنا موسى يوجد عبد كان يوجد وصفين له: **الرحمة والعلم**، وقدمت الرحمة على العلم، وإن كان قيل أن الرحمة هنا هي النبوة -على خلاف-.

❖ وقفة مع الخضر:

سنتكلم هنا عن الخضر هذا العبد، شيء عظيم أن ربنا يقول لسيدنا موسى -وهو من أولي العزم من الرسل وكليم الله- أن هناك عبدًا لديه من العلم ما لم يؤتك، أي لم تعطه، سنرجع بالأحداث .. لما سافر سيدنا موسى للخضر ووصل إليه، وسأله: هل أنت موسى بني إسرائيل؟ قال : نعم .. فقال كلمة جميلة جداً في بداية اللقاء، قال : ((يا موسى أنا على علم علمنيه الله لست تعلمه، وأنت على علم علمك إياه الله لست أعلمه))[٨]، هذه الكلمة رائعة، هذا **قانون العلاقات بين الثغور**، قانون التعامل

[٨] ١- [عن أبي بن كعب:] قُلتُ لِابنِ عَبَّاسٍ: إنَّ نَوفًا البَكَالِيَّ يَزْعُمُ أنَّ مُوسَى لَيسَ بمُوسَى بَنِي إسْرَائِيلَ، إنَّما هو مُوسَى آخَرُ ؟ فَقَالَ: كَذَبَ عَدُوُّ اللَّهِ حَدَّثَنَا أُبَيُّ بنُ كَعْبٍ عَنِ النبيِّ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ: قَامَ مُوسَى النبيُّ خَطِيبًا في بَنِي إسْرَائِيلَ فَسُئِلَ أيُّ النَّاسِ أعْلَمُ ؟ فَقَالَ: أنَا أعْلَمُ، فَعَتَبَ اللَّهُ عليه، إذْ لَمْ يَرُدَّ العِلْمَ إلَيْهِ، فأوْحَى اللَّهُ إلَيْهِ: أنَّ عَبْدًا مِن عِبَادِي بمَجْمَعِ البَحْرَيْنِ، هو أعْلَمُ مِنْكَ. قَالَ: يا رَبِّ، وكَيْفَ بهِ؟ فقِيلَ له: احْمِلْ حُوتًا في مِكْتَلٍ، فإذَا فَقَدْتَهُ فَهو ثَمَّ، فَانْطَلَقَ وانْطَلَقَ بفَتَاهُ يُوشَعَ بنِ نُونٍ، وحَمَلَا حُوتًا في مِكْتَلٍ، حتَّى كَانَا عِنْدَ الصَّخْرَةِ وضَعَا رُؤُوسَهُمَا ونَامَا، فَانْسَلَّ الحُوتُ مِنَ المِكْتَلِ فَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ في البَحْرِ سَرَبًا، وكانَ لِمُوسَى وفَتَاهُ عَجَبًا، فَانْطَلَقَا بَقِيَّةَ لَيْلَتِهِما ويَومَهُمَا، فَلَمَّا أصْبَحَ قَالَ مُوسَى لِفَتَاهُ: آتِنَا غَدَاءَنَا، لقَدْ لَقِينَا مِن سَفَرِنَا هذا نَصَبًا، ولَمْ يَجِدْ مُوسَى مَسًّا مِنَ النَّصَبِ حتَّى جَاوَزَ المَكَانَ الذي أُمِرَ به، فَقَالَ له فَتَاهُ: (أَرَأَيْتَ إذْ أَوَيْنَا إلى

بين الكوادر، قانون التعامل بين التيارات الإسلامية، الخضر يقول له "أنا على علم" إنك تعترف بإمكانياتك، ليس عيبًا، إنك تكتشف ذاتك وتكتشف إمكانياتك وتعرف بابك في العلم، الدعوة، الحركة، الأعمال الخيرية، وتميزك داخل هذا الثغر، **أنا على علم وعلى التمكن، ثم تنسب الفضل فيما أنت فيه لله**، أنا على علم علمنيه الله، وطبيعي جدًا إن كنت لا تملك الموهبة التي لدي، فمثلًا فلان يعرف أن يعطي درسًا وفلان لا يعرف أن يعطي درس، فلان يعرف أن يذاكر الفقه وفلان لا يعرف أن يذاكر الفقه، فلان يعرف أن يفتي وفلان لا يعرف أن يفتي، فلان متميز في العمل الخيري، وفلان ليس متميز في العمل الخيري، كلهم أفاضل، طبيعي جدًا "أنا على علم علمنيه الله لست تعلمه" أغلبنا ممكن يوفق ويقول هكذا، ها ثم ماذا؟ يضع نقطة، ولكن بقية التيارات الإسلامية وباقي الكوادر وباقي الواقع أين هم؟؟ يقول لا، أنا على علم علمنيه الله لستم تعلموه، حسنًا والباقي؟ انظر إلى الخضر ماذا قال: "وأنت على علم .." متمكن منه "علمك إياه الله" فضل من الله "لست أعلمه"، نادراً ما يقول أحد "لست أعلمه"، ربنا يقول لموسى اذهب تعلم من الخضر، كان ممكن الخضر يقول له: حسناً أنك قد أتيت لكي تتعلم، لكنه قال "أنت على علم لست أعلمه" ليتنا نتعلم أن نقول أنك لديك شيء ليس عندي والعكس.

مثلما قارنا بين موقف موسى عليه السلام وموقف أحد ابني آدم، هنا موقف الخضر وموقف السامري، السامري قال { بَصُرْتُ بِمَا لَمْ يَبْصُرُوا بِهِ }[طه ٩٦] أنا لدي شيء ليس عندكم كلكم، حسنًا وهؤلاء الناس أليس لديهم شيء؟ يقول: لا ليس عندهم، أنا الذي لديّ، هناك ناس طريقة كلامهم هكذا "أنا أعرف أكثر منكم كلكم" "أنا الذي أفهم، أنا الذي أعرف"، حسنًا والباقي، لِمَ لا تقل أن الباقي يعرف

الصَّخْرَةِ فإنِّي نَسِيتُ الحُوتَ وما أنْسانِيهِ إلَّا الشَّيْطانُ) قالَ مُوسَى: (ذلكَ ما كُنَّا نَبْغِي فارْتَدَّا علَى آثارِهِما قَصَصًا) فَلَمَّا انْتَهَيَا إلى الصَّخْرَةِ، إذَا رَجُلٌ مُسَجًّى بثَوْبٍ، أوْ قالَ تَسَجَّى بثَوْبِهِ، فَسَلَّمَ مُوسَى، فَقالَ الخَضِرُ: وأنَّى بأَرْضِكَ السَّلَامُ؟ فَقالَ: أنَا مُوسَى، فَقالَ: مُوسَى بَنِي إسْرَائِيلَ؟ قالَ: نَعَمْ، قالَ: هلْ أتَّبِعُكَ علَى أنْ تُعَلِّمَنِي ممَّا عُلِّمْتَ رَشَدًا قالَ: إنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ معِيَ صَبْرًا، يا مُوسَى إنِّي علَى عِلْمٍ مِن عِلْمِ اللَّهِ عَلَّمَنِيهِ لا تَعْلَمُهُ أنْتَ، وأنْتَ علَى عِلْمٍ عَلَّمَكَهُ لا أعْلَمُهُ، قالَ: سَتَجِدُنِي إنْ شَاءَ اللَّهُ صَابِرًا، ولَا أعْصِي لكَ أمْرًا، فَانْطَلَقَا يَمْشِيَانِ علَى سَاحِلِ البَحْرِ، ليسَ لهما سَفِينَةٌ، فَمَرَّتْ بهِما سَفِينَةٌ، فَكَلَّمُوهُمْ أنْ يَحْمِلُوهُما، فَعُرِفَ الخَضِرُ فَحَمَلُوهُما بغيرِ نَوْلٍ، فَجَاءَ عُصْفُورٌ، فَوَقَعَ علَى حَرْفِ السَّفِينَةِ، فَنَقَرَ نَقْرَةً أوْ نَقْرَتَيْنِ في البَحْرِ، فَقالَ الخَضِرُ: يا مُوسَى ما نَقَصَ عِلْمِي وعِلْمُكَ مِن عِلْمِ اللَّهِ إلَّا كَنَقْرَةِ هذا العُصْفُورِ في البَحْرِ، فَعَمَدَ الخَضِرُ إلى لَوْحٍ مِن ألْوَاحِ السَّفِينَةِ، فَنَزَعَهُ، فَقالَ مُوسَى: قَوْمٌ حَمَلُونَا بغيرِ نَوْلٍ عَمَدْتَ إلى سَفِينَتِهِمْ فَخَرَقْتَهَا لِتُغْرِقَ أهْلَهَا؟ قالَ: ألَمْ أقُلْ إنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ معِيَ صَبْرًا؟ قالَ: لا تُؤَاخِذْنِي بما نَسِيتُ ولَا تُرْهِقْنِي مِن أمْرِي عُسْرًا - فَكَانَتِ الأُولَى مِن مُوسَى نِسْيَانًا -، فَانْطَلَقَا، فَإِذَا غُلَامٌ يَلْعَبُ مع الغِلْمَانِ، فأخَذَ الخَضِرُ برَأْسِهِ مِن أعْلَاهُ فَاقْتَلَعَ رَأْسَهُ بيَدِهِ، فَقالَ مُوسَى: أقَتَلْتَ نَفْسًا زَكِيَّةً بغيرِ نَفْسٍ؟ قالَ: ألَمْ أقُلْ لكَ إنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ معِيَ صَبْرًا؟ - قالَ ابنُ عُيَيْنَةَ: وهذا أوْكَدُ - فَانْطَلَقَا، حتَّى إذَا أتَيَا أهْلَ قَرْيَةٍ اسْتَطْعَما أهْلَهَا، فأبَوْا أنْ يُضَيِّفُوهُما، فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أنْ يَنْقَضَّ فأقَامَهُ، قالَ الخَضِرُ: بيَدِهِ فأقَامَهُ، فَقالَ له مُوسَى: لو شِئْتَ لَاتَّخَذْتَ عليه أجْرًا، قالَ: هذا فِرَاقُ بَيْنِي وبَيْنِكَ قالَ النبيُّ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ: يَرْحَمُ اللَّهُ مُوسَى، لَوَدِدْنَا لو صَبَرَ حتَّى يُقَصَّ عَلَيْنَا مِن أمْرِهِما.

البخاري (ت ٢٥٦)، صحيح البخاري ١٢٢ • [صحيح]

أشياء أنت لاتعرفها؟ أي أنك محتاج إليهم مثلما هم يحتاجون إليك، ممكن أن تكسر نفسك لهم وهم يكسروا أنفسهم لك، هذه هي العلاقات، هذه هي الحياة، ربنا ﷻ عندما وقعت الصخرة وسدت باب الغار، جعل الصخرة تنفك بدعاء الثلاثة، إن الكل يحتاج لبعضه، حتى في الدعاء.

فلما وجد موسى عليه السلام الخضر وقال هذه الكلمة العظيمة "أنا على علم علمنيه الله لست تعلمه وأنت على علم علمك إياه الله لست أعلمه".

{فَوَجَدَا عَبدا مِّن عِبَادِنَآ ءَاتَينَٰهُ رَحمَة مِّن عِندِنَا وَعَلَّمنَٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلما}[الكهف ٦٥] كثير من المفسرين وقفوا عند كلمة { مِن لَّدُنَّا } وقالوا واضح أن هذا علم مختلف اسمه "العلم اللدني" وهذا فعلًا العلم الذي يوجد في القصة هنا، هو علم من علوم الغيب التي لسنا مكلفين بها لكن هذه تُبَصِّر لنا ما وراء الأحداث.

أي هذه القصة رحمة من ربنا، نور على عالم الغيب يعرفك أن في عواقب ما وراء الأحداث التي تراها خير و رحمة لا يعلمها إلا الله ﷻ، ويقدر الله أقدارًا قد تكون في ظاهرها مؤلمة لكن في باطنها وعاقبتها ومآلاتها الخير والرحمة من الله ﷻ.

هذا النور حقيقة –نحن نقول سورة الكهف تقدم نور– الذي ألقته هذه القصة خلف المسرح و ما وراء الأحداث يسكب في قلوبنا السكينة والطمأنينة، ويجعلك ترضى بالحدث مهما كان صعبًا حتى لو كان خرقًا في سفينة أو كان قتلًا لغلام أو كان معاملة بالكرم مع اللئام.

{فَوَجَدَا عَبدا مِّن عِبَادِنَآ ءَاتَينَٰهُ رَحمَة مِّن عِندِنَا وَعَلَّمنَٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلما}[الكهف ٦٥] قدم الرحمة على العلم، لابد للمعلم أن يكون في قلبه الرحمة للناس و يكون رحيمًا ورؤوفًا بهم، قال له موسى مباشرةً، العلاقة العملية المباشرة والاتفاق الناضج والأدب والتواضع، مهما تكلمت عن أخلاق موسى عليه السلام لن أوفيه حقه، قال له موسى وهو من أولوا العزم نبي كليم الله معه شريعة معه التوراة لا يحتاج أن يكلف بهذه الأعمال لم و لن يكلف بمثل هذا هو طلب للكمال.

○ {قَالَ لَهُۥ مُوسَىٰ هَل أَتَّبِعُكَ عَلَىٰٓ أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمتَ رُشدا} [الكهف ٦٦]

قال له موسى –انظر الكلام– {هَل أَتَّبِعُكَ عَلَىٰٓ أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمتَ رُشدا}، كل كلمة فيها حكمة وأدب "هل تعلمني؟" أستئناس واستئذان وسؤال وأدب، ممكن الآن أحد يريد منك طلبًا أو سؤالًا أو

حاجة فيدخل إليك في الخاص وكأنه يريد أن يفتح الخاص عليك برجله: "هل ستجاوب أم لن تجاوب؟" لو أنت مثلاً تأخرت قليلًا في الإجابة، فانظر إلى الأدب والتعلم في طرح السؤال، وهذا موسى عليه السلام.

فمثلًا قد يرسل لك أحدهم سؤالًا أنت بعدها شُغلت بشيء أو لم ترد في خلال دقائق تجده يرسل لك الكثير من علامات الاستفهام -يستنكر تأخرك في الرد-، فلتتأنى قليلًا.

قال موسى {هل أتبعك} الأدب والاستئناس والاستئذان، لم يقل له "على فكرة أنا ربنا الذي يقول"، أو يقول: "ربنا الذي يقول تعلمونا"، {هل اتبعك على} عادي جدًا أن يكون بيننا علاقات شرطية - على شرط-، أي أن نشترط في العلاقة: أنا سأصحبك على أنك تعلمني.

بالنظر إلى سلوك سيدنا موسى عندما ذهب يتعلم يكتشف الفرد كم أنه كان مقصرًا في طلب العلم مع المشايخ ولا زال حتى الآن يتعامل بسوء أدب مع المشايخ، لما ذهب سيدنا موسى للخضر لم يقل للخضر مثلًا: "انظر إلى مواعيدك ومواعيدي نرتبها سوياً فأنا أيضاً ليس لدي وقت، أنا نبي لبني إسرائيل، فأنت على علم و أنا على علم ودعنا نتفق على المواعيد المناسبة"، لم يقل هذا وإنما قال: "**هل أتبعك؟**".

الكلمة عجيبة، قال هل أتبعك لكن علاقة شرطية وليس اتباعًا مطلقًا، العلاقة شرطية فما العلاقة؟ ما الشرط ؟ "أن تعلمني" أنا أتيت إليك لآخذ علمًا معينًا بطريقة معينة، وهذا ليس عيبًا يا كرام أن يكون شخص فاضل متميزًا في علم مثلاً الفقه والعقيدة لكن عنده مثلًا نقص في قضايا لغوية، ما المشكلة أن يذهب لشخص أعلى منه في القضايا اللغوية يعلمه؟ لايوجد أي مشكلة، ليس معنى هذا أنك أصبحت أقل منه، ولا معنى هذا أنه يذهب يقول ويتكبر أنا أُعلم فلان، لا هذه تصرفات ليست ناضجة، ربنا يقص علينا هذا الحدث ليعلمنا أنه أمر طبيعي أن يكون بيننا أني أقول لك "ممكن تعلمني؟" بين المتقدمين والعلماء والدعاة، عادي أن تقول: "هذا الموضوع لا أفهمه هل ممكن تشرحه لي؟"، لا يقوم بأخذ مقطع مصور ويقول أنا أعلم لكم شيخكم.

" عَلَىٰ أَن تُعَلِّمَنِ " و ينسب العلم إلى الله " مِمَّا عُلِّمتَ رُشدا " أنا أريد العلم الذي يرشدني إلى الله تعالى، ويا إخوة للأسف نحن أصبحنا نتعلم من أجل العلم وأصبحنا نقرأ من أجل الكتب أصبحنا

نذهب إلى معرض الكتاب للكتب وفقط، أين رشداً؟! أين " ٱقرَأ بِٱسمِ رَبِّكَ " القراءة التي توصلك في النهاية إلى " ٱسجُد وَٱقتَرِب " في سورة العلق هنا " رُشدا "؟ التي هي –سورة الكهف– أصلًا من محاورها الرشد، فالعلم الذي يبلغني الرشد، أنا لا أريد أي علم، يوجد ناس تطلب أي علم وتقرأ أي كتاب حتى لو لم يحصل الأسس، { مِمَّا عُلِّمتَ رُشدا }.

○ {قَالَ إِنَّكَ لَن تَسۡتَطِيعَ مَعِيَ صَبۡرٗا} [الكهف ٦٧]

{ قَالَ} هنا الصدق و الوضوح مع الطالب حتى لو الكلام صعب مع الطالب، { إِنَّكَ لَن تَستَطِيعَ مَعِيَ صَبرا} لذلك يقولون كم أنّ –أي كم تألم– موسى من "لن"؟ أي كم قيل له من "لن": { لَن تَرَىٰنِي }[الأعراف ١٤٣] – { لَن تَستَطِيعَ مَعِيَ صَبرا }[الكهف ٧٦] – { لَن نُّؤۡمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى ٱللَّهَ جَهرَةً}[البقرة ٥٥] من قومه و من الخضر.

○ {وَكَيۡفَ تَصۡبِرُ عَلَىٰ مَا لَمۡ تُحِطۡ بِهِۦ خُبۡرٗا} [الكهف ٦٨]

{قَالَ إِنَّكَ لَن تَستَطِيعَ مَعِيَ صَبرا * وَكَيفَ تَصبِرُ عَلَىٰ مَا لَم تُحِط بِهِۦ خُبرا}[الكهف ٦٧-٦٨] فهم الخضر للأعمال التي سيقوم بها بألهام من الله ﷻ وبأمر من الله ﷻ أن هذا في عالم الغيب قد لا تستوعبه عقول البشر، بل أصلًا وهذا إشارة أعتقد قرأتها في تفسير القرآن كان يقول أن أصلاً لو كشف لنا القدر نحن سنجلس، أنت لو كشف لك القدر لن تعمل شيئًا طالما هذا سيموت، ولماذا أعمل تلك طالما ستخرب و هذا سيمرض، أصلًا في تغطية القدر عنا حكمة من الله جليلة منه ﷻ، فالخضر يعرف أن هذا من العلوم التي قد لا يستطيعها البشر {قَالَ إِنَّكَ لَن تَستَطِيعَ مَعِيَ صَبرا * وَكَيفَ تَصبِرُ عَلَىٰ مَا لَم تُحِط بِهِۦ خُبرا} عدم إحاطة الإنسان أن يفهم الأشياء قد تمنعه من الصبر، لذلك كثير من الناس لا يصبر على طلب العلم لأنه لا يفهم مآل هذا، لا يفهم مآل الصبر ولا يصبر، يقول أنا سأدرس علم مثلًا أصول فقه سأدرس الفقه في مذهب معين سأدرس عقيدة، فإذا بدأ يدرس العقيدة هو كان متصورًا أنه لكل كتاب عقيدة سيذاكره قلبه سيصعد سماء من السماوات، وعندما ينهي سبع كتب عقيدة سيصل للسماوات السبع، هو متخيل هذا فيفاجأ بخلافات ومشاكل ومعارك هو ليس مستوعب قيمة ما يقرأ ولا تفاصيل ولا شرف ولا خطورة الصراط الذي يسير عليه، ومدى احتياجه إلى الوحي في مثل هذا الطريق طلب علم العقيدة والتوفيق من الله ﷻ، فعندما لا يحط خبرًا بتفاصيل و مآلات الأمر لا يصبر.

يقول مثلًا أنا أتمنى أن أعيش مع القرآن فتقول له حسنًا تريد أن تقرأ في التفسير أنت تحتاج علم اللغة، يقول إذًا أتعلم علم اللغة ولو عشر لغات من أجل القرآن، أنا أعمل أي شيء من أجل القرآن، فيبدأ يدرس القليل من النحو أول ما يجد الكسر والنصب وتفاصيل النحو تجده لا يتحمل ويقول لا أنا لا أنصب على أحد و لا أكسر على أحد أنا لن آتي إلى هذا الطريق مرة أخرى ويترك ولا يتحمل، هو لا يستطيع أن يصبر إلا إذا فهم القيمة، تقول له اصبر فلان لما نفذ هذا سيفرق معك في فهمك للتفسير وفي إعراب الآيات والدلالات حتى في البلاغة وغير ذلك.

○ {قَالَ سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ صَابِرا وَلَآ أَعۡصِي لَكَ أَمۡرا} [الكهف ٦٩]

ففهم الإنسان لطبيعة الطريق قد تساعده على الإستمرار في الطريق، {وَكَيفَ تَصبِرُ عَلَىٰ مَا لَم تُحِط بِهِۦ خُبرا * قَالَ سَتَجِدُنِيٓ} أيضًا انظر إلى سيدنا موسى **قمة الأدب والتواضع** {سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ صَابِرا وَلَآ أَعصِي لَكَ أَمرا} فهو يقول له "لن تصبر" كان ممكن أن يكتفي بالرد "سأصبر" لكنه قال "سأصبر ولا أعصي لك أمرًا"، تكلم موسى بمحض طبيعته و ثقته في الله أنه ذاهب لطلب العلم لم يكن يستوعب موسى عليه السلام أنه سيتعرض لمثل هذه الأحداث التي بها نوع من العلوم التي من الغيب لا يعرفها بشر.

○ {قَالَ فَإِنِ ٱتَّبَعۡتَنِي فَلَا تَسۡـَٔلۡنِي عَن شَيۡءٍ حَتَّىٰٓ أُحۡدِثَ لَكَ مِنۡهُ ذِكۡرا} [الكهف ٧٠]

{قَالَ فَإِنِ اتَّبَعْتَنِي فَلا تَسْأَلْنِي عَنْ شَيْءٍ} هنا أيضًا العلاقات المشروطة أنت وضعت شرطًا أنك تريد أن تتعلم مما علمتُ أنا رشدًا، فأنا أيضًا سأضع شرطًا في العلاقات، كما قلت لكم هنا القصة مليئة بالنضج في العلاقات، يقول لفتاه كذا بعد ذلك يترك فتاه أو ينطلق.

قال "فإن" وأتى ب "إن" التي تُفيد الشك، قال له أنت قلت "هل أتبعك؟" أنا ليس عندي مشكلة، أنت ستتبعني حرفيًا {فَإِنِ اتَّبَعْتَنِي فَلا تَسْأَلْنِي عَنْ شَيْءٍ} هذا شرطي الوحيد.

{حَتَّى أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا} لا تسأل عن شيء إلى أن أقول لك هذا سببه كذا، لأن الخَضر يعلم أنه سيقوم بأشياء عجيبة وغريبة لا يتحملها موسى عليه السلام، بل حتى قد لا تتوافق مع شريعته فكيف سيصبر موسى عليها؟ لن يستطيع أن يصبر {قَالَ فَإِنِ اتَّبَعْتَنِي فَلا تَسْأَلْنِي عَنْ شَيْءٍ حَتَّى أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا}.

○ {فَٱنطَلَقَا حَتَّىٰٓ إِذَا رَكِبَا فِي ٱلسَّفِينَةِ خَرَقَهَاۖ قَالَ أَخَرَقْتَهَا لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا لَقَدْ جِئْتَ شَيْـًٔا إِمْرًا} [الكهف ٧١]

حسنا هل وضع –موسى– شرطًا و قال له لا و...، لا ولكن قال {فَانْطَلَقَا} انطلاق مباشرةً وفاء السرعة، نحن ممكن نظل نضع شروطًا خمس سنين لكي نعمل يومين، لكن هنا فانطلقا مباشرة.

{حَتَّىٰ إِذَا رَكِبَا فِي السَّفِينَةِ خَرَقَهَا} أولها هكذا! الحديث طويل ذهبا ليركبا سفينة، الناس عرفوهم قالوا الخَضر نحن نعرفه هذا رجل صالح فحملوهما بغير نَوْلٍ أي بغير أجرة، فجأة هكذا الخَضر وهم راكبون قام وأحدث خرقًا في السفينة قيل ووضع وتدًا مكان الخرق، فموسى يقول له أناس طيبون مساكين ليس عندهم غير السفينة حملونا بغير أجرٍ تخرق لهم السفينة؟!

{قَالَ أَخَرَقْتَهَا} ستقتل الناس {لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا}، وبعض الإشارات اللطيفة هنا قالوا حتى لم يفكر في نفسه فلم يقل "أخرقتها ستغرقنا"، ولكن {قَالَ أَخَرَقْتَهَا لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا لَقَدْ جِئْتَ شَيْئاً إِمْراً} شيئاً عظيمًا، نرى عند سيدنا موسى هنا الفطرة والإنكار الذي من المفترض أن يكون في قلب المؤمن، ونَسي ما قاله في الآيه التي قبلها {وَلا أَعْصِي لَكَ أَمْرا}.

الخَضر لم يفسر له، وهنا نلاحظ قدرة المعلم على التماسك وقيادة الأمور، ليس هو الذي يسير وراء الطالب، كان ممكنًا أن الخضر يقول له "هذا الخرق لأجل كذا"، لكن لا هو صمت، ظل صامتًا، نكمل الرحلة وأنا سأخبرك في النهاية.

فأحيانًا الطالب يدفع المعلم دفعًا ليسير في اتجاه معين، مثلًا المعلم يشرح بابًا من الأبواب ويسير في اتجاه معين فيأتي الطالب ويجعله يلتفت إلى شيء آخر، الصواب أن المعلم لا ينجرف، المعلم أو المربي هو الذي يقود المسيرة ولا ينجرف مع الأحداث، فهنا الخَضر استمر كما هو، لم يقل له أنت تقول إمرًا أنت لا تعرف أصلًا أن هذا الخير، لم يقل هكذا .. إنما {قَالَ أَلَمْ أَقُلْ} ألم أقل في البداية {إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْراً}[الكهف ٧٢]، {قَالَ لَا تُؤَاخِذْنِي بِمَا نَسِيتُ} أنا فعلًا نسيت، والإرهاق التغطية أن يغشى شيئًا من التعب، قال {وَلَا تُرْهِقْنِي مِنْ أَمْرِي عُسْرًا}[الكهف ٧٣].

{فَٱنطَلَقَا حَتَّىٰٓ إِذَا لَقِيَا غُلَٰمٗا فَقَتَلَهُۥ قَالَ أَقَتَلۡتَ نَفۡسٗا زَكِيَّةُۢ بِغَيۡرِ نَفۡسٖ لَّقَدۡ جِئۡتَ شَيۡـٔٗا نُّكۡرٗا} [الكهف ٧٤]

بعدها {فَانْطَلَقَا} أيضًا هنا لم يتحدثوا كثيرًا فيما حدث، وأنت نسيت والله ما نسيت، الموضوع انتهى، كانت الأولى من موسى نسيانًا كما أخبر النبي ﷺ.

{قَالَ لَا تُؤَاخِذْنِي بِمَا نَسِيتُ وَلَا تُرْهِقْنِي مِنْ أَمْرِي عُسْرًا * فَانْطَلَقَا}[الكهف ٧٣-٧٤] حسنًا الأولى كانت خرقًا في سفينة أي راكبان مع بعض خرق سفينة جمادًا، حقًا هي سبب رزق لهم، لكن حتى لو غرقت -وهي ما لم تغرق- فهي جماد.

{فَانطَلَقَا حَتَّىٰ إِذَا لَقِيَا غُلَامًا فَقَتَلَهُ} القرآن هنا اختصر وأوجز القصة {غُلَامًا فَقَتَلَهُ} تجميع الروايات في هذا المشهد مؤلم جدًا، وأنت تقرأ الروايات .. تتألم ، تتألم فعلًا، تتألم نفسيًا، ففي رواية أنه ((كان غلامًا ظريفًا يلعب مع الصبيان))[٩]، كل هذا في الصحيح، وفي رواية خارج الصحيح مروية رواها قتادة

[٩] [عن أبي بن كعب:] إِنَّا لَعِنْدَ ابْنِ عَبَّاسٍ فِي بَيْتِهِ، إِذْ قَالَ: سَلُونِي، قُلْتُ: أَيْ أَبَا عَبَّاسٍ، جَعَلَنِي اللَّهُ فِدَاءَكَ، بِالْكُوفَةِ رَجُلٌ قَاصٌّ يُقَالُ لَهُ: نَوْفٌ يَزْعُمُ أَنَّهُ لَيْسَ بِمُوسَى بَنِي إِسْرَائِيلَ، أَمَّا عَمْرٌو فَقَالَ لِي: قَالَ: قَدْ كَذَبَ عَدُوُّ اللَّهِ، وَأَمَّا يَعْلَى فَقَالَ لِي: قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ، حَدَّثَنِي أُبَيُّ بْنُ كَعْبٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ: مُوسَى رَسُولُ اللَّهِ عليه السَّلَامُ، قَالَ: ذَكَّرَ النَّاسَ يَوْمًا حَتَّى إِذَا فَاضَتِ الْعُيُونُ، وَرَقَّتِ الْقُلُوبُ، وَلَّى فَأَدْرَكَهُ رَجُلٌ فَقَالَ: أَيْ رَسُولَ اللَّهِ، هَلْ فِي الْأَرْضِ أَحَدٌ أَعْلَمُ مِنْكَ؟ قَالَ: لَا، فَعَتَبَ عليه إِذْ لَمْ يَرُدَّ الْعِلْمَ إِلَى اللَّهِ، قِيلَ: بَلَى، قَالَ: أَيْ رَبِّ، فَأَيْنَ؟ قَالَ: بِمَجْمَعِ الْبَحْرَيْنِ، قَالَ: أَيْ رَبِّ، اجْعَلْ لِي عَلَمًا أَعْلَمُ ذَلِكَ بِهِ - فَقَالَ لِي عَمْرٌو - قَالَ: حَيْثُ يُفَارِقُكَ الْحُوتُ - وَقَالَ لِي يَعْلَى - قَالَ: خُذْ نُونًا مَيِّتًا، حَيْثُ يُنْفَخُ فِيهِ الرُّوحُ، فَأَخَذَ حُوتًا فَجَعَلَهُ فِي مِكْتَلٍ، فَقَالَ لِفَتَاهُ: لَا أُكَلِّفُكَ إِلَّا أَنْ تُخْبِرَنِي بِحَيْثُ يُفَارِقُكَ الْحُوتُ، قَالَ: مَا كَلَّفْتَ كَثِيرًا فَذَلِكَ قَوْلُهُ جَلَّ ذِكْرُهُ: {وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِفَتَاهُ} يُوشَعَ بْنِ نُونٍ - لَيْسَتْ عَنْ سَعِيدٍ - قَالَ: فَبَيْنَمَا هُوَ فِي ظِلِّ صَخْرَةٍ فِي مَكَانٍ ثَرْيَانَ، إِذْ تَضَرَّبَ الْحُوتُ وَمُوسَى نَائِمٌ، فَقَالَ فَتَاهُ: لَا أُوقِظُهُ حَتَّى إِذَا اسْتَيْقَظَ نَسِيَ أَنْ يُخْبِرَهُ، وَتَضَرَّبَ الْحُوتُ حَتَّى دَخَلَ الْبَحْرَ، فَأَمْسَكَ اللَّهُ عَنْهُ جِرْيَةَ الْبَحْرِ، حَتَّى كَأَنَّ أَثَرَهُ فِي حَجَرٍ - قَالَ لِي عَمْرٌو: هَكَذَا كَأَنَّ أَثَرَهُ فِي حَجَرٍ، وَحَلَّقَ بَيْنَ إِبْهَامَيْهِ وَاللَّتَيْنِ تَلِيَانِهِمَا - {لَقَدْ لَقِينَا مِنْ سَفَرِنَا هَذَا نَصَبًا}، قَالَ: قَدْ قَطَعَ اللَّهُ عَنْكَ النَّصَبَ - لَيْسَتْ هَذِهِ عَنْ سَعِيدٍ أَخْبَرَهُ - فَرَجَعَا فَوَجَدَا خَضِرًا - قَالَ لِي عُثْمَانُ بْنُ أَبِي سُلَيْمَانَ - عَلَى طِنْفِسَةٍ خَضْرَاءَ، عَلَى كَبِدِ الْبَحْرِ - قَالَ سَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ - مُسَجًّى بِثَوْبِهِ قَدْ جَعَلَ طَرَفَهُ تَحْتَ رِجْلَيْهِ، وَطَرَفَهُ تَحْتَ رَأْسِهِ، فَسَلَّمَ عليه مُوسَى فَكَشَفَ عَنْ وَجْهِهِ، وَقَالَ: هَلْ بِأَرْضِي مِنْ سَلَامٍ مَنْ أَنْتَ؟ قَالَ: أَنَا مُوسَى، قَالَ: مُوسَى بَنِي إِسْرَائِيلَ؟ قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: فَمَا شَأْنُكَ؟ قَالَ: جِئْتُ لِتُعَلِّمَنِي مِمَّا عُلِّمْتَ رَشَدًا، قَالَ: أَمَا يَكْفِيكَ أَنَّ التَّوْرَاةَ بِيَدَيْكَ، وَأَنَّ الْوَحْيَ يَأْتِيكَ يَا مُوسَى، إِنَّ لِي عِلْمًا لَا يَنْبَغِي لَكَ أَنْ تَعْلَمَهُ، وَإِنَّ لَكَ عِلْمًا لَا يَنْبَغِي لِي أَنْ أَعْلَمَهُ، فَأَخَذَ طَائِرٌ بِمِنْقَارِهِ مِنَ الْبَحْرِ، وَقَالَ: وَاللَّهِ مَا عِلْمِي وَمَا عِلْمُكَ فِي جَنْبِ عِلْمِ اللَّهِ إِلَّا كَمَا أَخَذَ هَذَا الطَّائِرُ بِمِنْقَارِهِ مِنَ الْبَحْرِ، حَتَّى إِذَا رَكِبَا فِي السَّفِينَةِ وَجَدَا مَعَابِرَ صِغَارًا، تَحْمِلُ أَهْلَ هَذَا السَّاحِلِ إِلَى أَهْلِ هَذَا السَّاحِلِ الْآخَرِ، عَرَفُوهُ فَقَالُوا: عَبْدُ اللَّهِ الصَّالِحُ - قَالَ: قُلْنَا لِسَعِيدٍ: خَضِرٌ؟ قَالَ: نَعَمْ - لَا نَحْمِلُهُ بِأَجْرٍ، فَخَرَقَهَا وَوَتَدَ فِيهَا وَتِدًا، قَالَ مُوسَى: {أَخَرَقْتَهَا لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا، لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا إِمْرًا} - قَالَ مُجَاهِدٌ: مُنْكَرًا - (قَالَ أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا)، كَانَتِ الْأُولَى نِسْيَانًا وَالْوُسْطَى شَرْطًا، وَالثَّالِثَةُ عَمْدًا، {قَالَ: لَا تُؤَاخِذْنِي بِمَا نَسِيتُ وَلَا تُرْهِقْنِي مِنْ أَمْرِي عُسْرًا}، لَقِيَا غُلَامًا فَقَتَلَهُ - قَالَ يَعْلَى: قَالَ سَعِيدٌ: وَجَدَ غِلْمَانًا يَلْعَبُونَ فَأَخَذَ غُلَامًا كَافِرًا ظَرِيفًا فَأَضْجَعَهُ ثُمَّ ذَبَحَهُ بِالسِّكِّينِ - {قَالَ: أَقَتَلْتَ نَفْسًا زَكِيَّةً بِغَيْرِ نَفْسٍ} لَمْ تَعْمَلْ بِالْحِنْثِ - وَكَانَ ابْنُ عَبَّاسٍ قَرَأَهَا زَكِيَّةً (زَاكِيَةً): مُسْلِمَةً كَقَوْلِكَ غُلَامًا زَكِيًّا - فَانْطَلَقَا فَوَجَدَا جِدَارًا يُرِيدُ أَنْ يَنْقَضَّ، فَأَقَامَهُ - قَالَ سَعِيدٌ بِيَدِهِ هَكَذَا، وَرَفَعَ يَدَهُ فَاسْتَقَامَ، قَالَ يَعْلَى: حَسِبْتُ أَنَّ سَعِيدًا قَالَ: فَمَسَحَهُ بِيَدِهِ فَاسْتَقَامَ - {لَوْ شِئْتَ لَاتَّخَذْتَ عليه أَجْرًا} - قَالَ سَعِيدٌ: أَجْرًا نَأْكُلُهُ - {وَكَانَ وَرَاءَهُمْ} وَكَانَ أَمَامَهُمْ - قَرَأَهَا ابْنُ عَبَّاسٍ: أَمَامَهُمْ مَلِكٌ، يَزْعُمُونَ عَنْ غَيْرِ سَعِيدٍ أَنَّهُ هُدَدُ بْنُ بُدَدَ، وَالْغُلَامُ الْمَقْتُولُ اسْمُهُ يَزْعُمُونَ جَيْسُورٌ - {مَلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا}، فَأَرَدْتُ إِذَا هِيَ مَرَّتْ بِهِ أَنْ يَدَعَهَا لِعَيْبِهَا، فَإِذَا جَاوَزُوا أَصْلَحُوهَا فَانْتَفَعُوا بِهَا - وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ: سَدُّوهَا بِقَارُورَةٍ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ بِالْقَارِ - {كَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ} وَكَانَ كَافِرًا {فَخَشِينَا أَنْ يُرْهِقَهُمَا طُغْيَانًا،

عن عبدالله بن الشخير قال: ((فرحا به يوم وُلد))، هذا الابن أبوه وأمه فرحوا به جدًا وكان ظريفًا وكان يلعب مع الصبيان، والخَضر ليس مثلًا صدمه فمات ولا وكزه مثلًا فمات، بل أضجعه على الأرض، وفي رواية أنه ذبحه بالسكين وفي رواية اقتلعه بيده، ورواية أخرى -لا أذكر خارج البخاري ومسلم أم لا- ضربه في الجدار أو بحجر لدرجة أن بعض المفسرين جمع بين الثلاث روايات أنه ضربه ثم ذبحه بالسكين ثم اقتلعه بيده، وهو كان يلعب لم يبلغ الحنث، وفي رواية في الصحيح ((فذُعِرَ موسى ذعرةً منكرة))[١٠] فزع جدًا مما حدث.

هل أنت متخيل المشهد؟ تخيل لو أنت ترى مشهدًا كهذا طفل شكله ظريف أبوه وأمه فَرِحَانِ به، ويلعب فجاء أحدهم يضربه ويذبحه بالسكين ويفصل رأسه عن جسده، هذا المشهد رحمة!! كيف ؟!

متخيلين أن من رحمة ربنا بنا أن يأتي لنا بمشاهد مثل هذه لكي يعلمنا أن مهما كان الحدث صعبًا ومؤلمًا قد يكون في باطنه رحمة وأنت لا تشعر، فعلًا أشعر أن هذه القصة هي عبودية العقل، القدر هو تعبيد

وكُفْرًا} أنْ يَحْمِلَهُا حُبُّهُ علَى أنْ يَتابِعَاهُ علَى دِينِهِ، (فَأَرَدْنَا أنْ يُبْدِلَهُما رَبُّهُما خَيْرًا منه زَكَاةً) لِقَوْلِهِ: {أَقَتَلْتَ نَفْسًا زَكِيَّةً} {وَأَقْرَبَ رُحْمًا} هُما به أرْحَمُ منها بالأوَّلِ، الذي قَتَلَ خَضِرٌ - وزَعَمَ غَيْرُ سَعِيدٍ: أنَّهُما أُبْدِلَا جارِيَةً، وأمَّا دَاوُدُ بنُ أبِي عَاصِمٍ فَقالَ: عن غيرِ واحِدٍ: إنَّهَا جارِيَةٌ - البخاري (ت ٢٥٦)، صحيح البخاري ٤٧٢٦ • [صحيح]

[١٠] [عن أبي بن كعب:] إنَّه بيْنَما مُوسَى عليه السَّلَامُ، في قَوْمِهِ يُذَكِّرُهُمْ بأيَّامِ اللهِ، وَأيَّامُ اللهِ نَعْمَاؤُهُ وَبَلَاؤُهُ، إذْ قالَ: ما أعْلَمُ في الأرْضِ رَجُلًا خَيْرًا وَأعْلَمَ مِنِّي، قالَ: فأوْحَى اللَّهُ إلَيْهِ، إنِّي أعْلَمُ بالخَيْرِ منه، أوْ عِنْدَ مَن هُوَ، إنَّ في الأرْضِ رَجُلًا هو أعْلَمُ مِنْكَ، قالَ: يا رَبِّ فَدُلَّنِي عليه، قالَ فقِيلَ له: تَزَوَّدْ حُوتًا مَالِحًا، فإنَّه حَيْثُ تَفْقِدُ الحُوتَ، قالَ: فَانْطَلَقَ هو وَفَتَاهُ حتَّى انْتَهَيَا إلى الصَّخْرَةِ، فَعُمِّيَ عليه، فَانْطَلَقَ وَتَرَكَ فَتَاهُ، فَاضْطَرَبَ الحُوتُ في المَاءِ، فَجَعَلَ لا يَلْتَئِمُ عليه، صَارَ مِثْلَ الكُوَّةِ، قالَ فَقالَ فَتَاهُ: ألَا أَلْحَقُ نَبِيَّ اللهِ فَأُخْبِرَهُ؟ قالَ: فَنَسِيَ، فَلَمَّا تَجَاوَزَا قالَ لِفَتَاهُ: آتِنَا غَدَاءَنَا لَقَدْ لَقِينَا مِن سَفَرِنَا هذا نَصَبًا، قالَ: وَلَمْ يُصِبْهُمْ نَصَبٌ حتَّى تَجَاوَزَا، قالَ فَتَذَكَّرَ (قالَ أرَأَيْتَ إذْ أوَيْنَا إلى الصَّخْرَةِ فإنِّي نَسِيتُ الحُوتَ وَما أنْسَانِيهُ إلَّا الشَّيْطَانُ أنْ أذْكُرَهُ وَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ في البَحْرِ عَجَبًا. قالَ: ذلكَ ما كُنَّا نَبْغِي فَارْتَدَّا علَى آثَارِهِما قَصَصًا) فأرَاهُ مَكَانَ الحُوتِ، قالَ: هَا هُنَا وُصِفَ لِي، قالَ: فَذَهَبَ يَلْتَمِسُ فَإِذَا هو بالخَضِرِ مُسَجًّى ثَوْبًا، مُسْتَلْقِيًا علَى القَفَا، أوْ قالَ علَى حَلَاوَةِ القَفَا. قالَ: السَّلَامُ علَيْكُم، فَكَشَفَ الثَّوْبَ عن وَجْهِهِ قالَ: وَعَلَيْكُمُ السَّلَامُ، مَن أنْتَ؟ قالَ: أنَا مُوسَى؟ قالَ: وَمَن مُوسَى؟ قالَ: مُوسَى بَنِي إسْرَائِيلَ، قالَ: مَجِيءٌ ما جَاءَ بكَ؟ قالَ: جِئْتُ لِتُعَلِّمَنِي مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا، قالَ: إنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا، وَكَيْفَ تَصْبِرُ علَى ما لَمْ تُحِطْ به خُبْرًا، شيءٌ أُمِرْتُ به أنْ أفْعَلَهُ إذَا رَأيْتَهُ لَمْ تَصْبِرْ، قالَ: سَتَجِدُنِي إنْ شَاءَ اللَّهُ صَابِرًا وَلَا أعْصِي لكَ أمْرًا، قالَ: فَإنِ اتَّبَعْتَنِي فلا تَسْألْنِي عن شيءٍ حتَّى أُحْدِثَ لكَ منه ذِكْرًا، فَانْطَلَقَا حتَّى إذَا رَكِبَا في السَّفِينَةِ خَرَقَهَا، قالَ: انْتَحَى عَلَيْهَا، قالَ له مُوسَى عليه السَّلَامُ: أخَرَقْتَهَا لِتُغْرِقَ أهْلَهَا لَقَدْ جِئْتَ شيئًا إمْرًا، قالَ: ألَمْ أقُلْ إنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِي صَبْرًا؟ قالَ: لا تُؤَاخِذْنِي بما نَسِيتُ وَلَا تُرْهِقْنِي مِن أمْرِي عُسْرًا، فَانْطَلَقَا حتَّى إذَا لَقِيَا غِلْمَانًا يَلْعَبُونَ، قالَ: فَانْطَلَقَ إلى أحَدِهِمْ بَادِيَ الرَّأْيِ فَقَتَلَهُ، فَذُعِرَ عِنْدَهَا مُوسَى عليه السَّلَامُ، ذَعْرَةً مُنْكَرَةً، قالَ: (أقَتَلْتَ نَفْسًا زَاكِيَةً بغيرِ نَفْسٍ لَقَدْ جِئْتَ شيئًا نُكْرًا) فَقالَ رَسولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عليه وَسَلَّمَ عِنْدَ هذا المَكَانِ: رَحْمَةُ اللهِ عَلَيْنَا وعلَى مُوسَى، لَوْلَا أنَّهُ عَجَّلَ لَرَأَى العَجَبَ، وَلَكِنَّهُ أخَذَتْهُ مِن صَاحِبِهِ ذَمَامَةٌ، {قالَ إنْ سَأَلْتُكَ عن شيءٍ بَعْدَهَا فلا تُصَاحِبْنِي قدْ بَلَغْتَ مِن لَدُنِّي} عُذْرًا ولو صَبَرَ لَرَأَى العَجَبَ، قالَ: وَكَانَ إذَا ذُكِرَ أحَدًا مِنَ الأنْبِيَاءِ بَدَأَ بنَفْسِهِ رَحْمَةُ اللهِ عَلَيْنَا وعلَى أخِي كَذَا، رَحْمَةُ اللهِ عَلَيْنَا، فَانْطَلَقَا حتَّى إذَا أتَيَا أهْلَ قَرْيَةٍ لِئَامًا فَطَافَا في المَجَالِسِ فَاسْتَطْعَمَا أهْلَهَا، فأبَوْا أنْ يُضَيِّفُوهُما فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أنْ يَنْقَضَّ فأقَامَهُ، قالَ: لو شِئْتَ لَاتَّخَذْتَ عليه أجْرًا، قالَ: هذا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ وَأخَذَ بثَوْبِهِ، قالَ: {سَأُنَبِّئُكَ بتَأْوِيلِ ما لَمْ تَسْتَطِعْ عليه صَبْرًا، أمَّا السَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَاكِينَ يَعْمَلُونَ في البَحْرِ} إلى آخِرِ الآيَةِ، فَإذَا جَاءَ الذي يُسَخِّرُهَا وَجَدَهَا مُنْخَرِقَةً فَتَجَاوَزَهَا فأصْلَحُوهَا بخَشَبَةٍ، وَأمَّا الغُلَامُ فَطُبِعَ يَومَ طُبِعَ كَافِرًا، وَكَانَ أبَوَاهُ قدْ عَطَفَا عليه، فلو أنَّهُ أدْرَكَ أرْهَقَهُما طُغْيَانًا وَكُفْرًا (فَأَرَدْنَا أنْ يُبْدِلَهُما رَبُّهُما خَيْرًا منه زَكَاةً وَأقْرَبَ رُحْمًا. وَأمَّا الجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَامَيْنِ يَتِيمَيْنِ في المَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُ) إلى آخِرِ الآيَةِ.

مسلم (ت ٢٦١)، صحيح مسلم ٢٣٨٠ • [صحيح]

العقل، الإيمان بالقدر من أصعب الأمور، كنت سمعت فعلًا لأحد الدعاة يتكلم في هذا المعنى أن القدر من أصعب الأمور وأن الإنسان قد يصبر على أشياء وقد يقوم بعبوديات قد يُطيل القيام قد يسهر الليالي في طلب العلم قد يفعل ويفعل لكن يأتي عند أحداث ويريد أن يقول يارب لمَ؟ لا أستطيع أن أفهم.

الذي يقرأ في أحداث السيرة ولا يعلم نهايات الأحداث. لماذا يموت هذا؟ لماذا يحاصروا؟ لماذا يعذب؟ لماذا يسافروا؟ لماذا يهاجروا؟ لماذا تموت؟ لماذا..؟ لماذا..؟ ممكن أن تظل تقول لماذا؟

أحداث عجيبة وسبحان الله يكون فيها لطف، والذي يقرأ قصة يوسف -ارجعوا إلى سورة يوسف- كيف أن أحداثًا عجيبة هي لطف من الله ﷻ.

فسيدنا موسى قال {لَّقَدْ جِئْتَ شَيْئًا نُّكْرًا} "نكرًا" قالوا أصعب من "إمرًا"، لأن الخرق ممكن أن يصلح، لكن الذي قُتل كيف يعود، {لَّقَدْ جِئْتَ شَيْئًا نُّكْرًا}.

○ {قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا} [الكهف ٧٥]

وأيضًا الخَضر لم يرد عليه وهذا من ثبات الخَضر عجيب {قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكَ} هذه المرة زاد لك لأن فيها تعنيف زائد {إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْراً} فتخيل سيدنا موسى كما نقول بين نارين: يرى أشياء خطأ، هو يراها خطأ ولا يستطيع أن يتحكم في نفسه وهذه فِطرته في إنكار المنكر وهكذا المؤمن، نحن للأسف أصبحنا نرى المنكر عادي، لا يحدث لنا حتى الذُعرة المنكرة التي ذُعرها موسى عليه السلام، أصبحنا نرى المنكرات شيئًا عاديًا للأسف، أتكلم عن نفسي، وما بين أن ربنا الذي أشار إليه بذلك.

فبالتأكيد لو كان أحدًا آخر كان موسى أنكر عليه، لكن ربنا الذي أخبره به، قال له حسنًا واضح فعلًا إن هذا العلم غريب عليَّ ولن أستطيع أن أحتمل، فواضح أن الأمور لو استمرت هكذا لن أستطيع أن أتحمل، يحافظ على فطرته تجاه إنكار المنكر، لن أقدر.

○ {قَالَ إِن سَأَلْتُكَ عَن شَيْءٍ بَعْدَهَا فَلَا تُصَاحِبْنِي ۖ قَدْ بَلَغْتَ مِن لَّدُنِّي عُذْرًا}[الكهف ٧٦]

قال {إن} أي أشك لكن ربنا يعيننا وأصبر {قَالَ إِن سَأَلْتُكَ عَن شَيْءٍ بَعْدَهَا فَلَا تُصَاحِبْنِي ۖ قَدْ بَلَغْتَ مِن لَّدُنِّي عُذْرًا} وهنا النبي ﷺ قال (أخذته) أي موسى عليه السلام ((من الخَضِر ذِمامة))[١١] أي حياءً وإشفاقًا.

قال ((وَددنا أن لو موسى صبر))[١٢]

---

[١١] [عن أبي بن كعب:] إِنَّه بيْنَا مُوسَى عليه السَّلَامُ، فِي قَوْمِهِ يُذَكِّرُهُمْ بِأَيَّامِ اللهِ، وَأَيَّامُ اللهِ نَعْمَاؤُهُ وَبَلَاؤُهُ، إِذْ قالَ: ما أَعْلَمُ فِي الأَرْضِ رَجُلًا خَيْرًا وَأَعْلَمُ مِنِّي، قالَ: فأَوْحَى اللهُ إِلَيْهِ، إِنِّي أَعْلَمُ بالخَيْرِ منه، أَوْ عِنْدَ مَن هُوَ، إِنَّ في الأَرْضِ رَجُلًا هو أَعْلَمُ مِنْكَ، قالَ: يا رَبِّ فَدُلَّنِي عليه، قالَ فقِيلَ له: تَزَوَّدْ حُوتًا مَالِحًا، فإنَّه حَيْثُ تَفْقِدُ الحُوتَ، قالَ: فَانْطَلَقَ هو وَفَتَاهُ حتَّى انْتَهَيَا إلى الصَّخْرَةِ، فَعُمِّيَ عليه، فَانْطَلَقَ وَتَرَكَ فَتَاهُ، فَاضْطَرَبَ الحُوتُ في المَاءِ، فَجَعَلَ لا يَلْتَئِمُ عليه، صَارَ مِثْلَ الكُوَّةِ، قالَ فَقالَ فَتَاهُ: أَلَا أَلْحَقُ نَبِيَّ اللهِ فَأُخْبِرَهُ؟ قالَ: فَنُسِّيَ، فَلَمَّا تَجَاوَزَا قالَ لِفَتَاهُ: آتِنَا غَدَاءَنَا لَقَدْ لَقِينَا مِن سَفَرِنَا هذا نَصَبًا، قالَ: وَلَمْ يُصِبْهُمْ نَصَبٌ حتَّى تَجَاوَزَا، قالَ فَتَذَكَّرَ (قالَ أَرَأَيْتَ إذْ أَوَيْنَا إلى الصَّخْرَةِ فإنِّي نَسِيتُ الحُوتَ وَما أَنْسَانِيهُ إلَّا الشَّيْطَانُ أَنْ أَذْكُرَهُ وَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ في البَحْرِ عَجَبًا. قالَ: ذلكَ ما كُنَّا نَبْغِي فَارْتَدَّا على آثَارِهِمَا قَصَصًا) فأَرَاهُ مَكَانَ الحُوتِ، قالَ: هَا هُنَا وُصِفَ لِي، قالَ: فَذَهَبَ يَلْتَمِسُ فإذَا هو بالخَضِرِ مُسَجًّى ثَوْبًا، مُسْتَلْقِيًا على القَفَا، أَوْ قالَ على حَلَاوَةِ القَفَا. قالَ: السَّلَامُ عليْكُم، فَكَشَفَ الثَّوْبَ عن وَجْهِهِ قالَ: وَعَلَيْكُمُ السَّلَامُ، مَن أَنْتَ؟ قالَ: أَنَا مُوسَى؟ قالَ: وَمَن مُوسَى؟ قالَ: مُوسَى بَنِي إسْرَائِيلَ، قالَ: مَجِيءٌ ما جَاءَ بكَ؟ قالَ: جِئْتُ لِتُعَلِّمَنِي مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا، قالَ: إنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا، وَكَيْفَ تَصْبِرُ على ما لَمْ تُحِطْ به خُبْرًا، شيءٌ أُمِرْتُ به أَنْ أَفْعَلَهُ إذَا رَأَيْتَهُ لَمْ تَصْبِرْ، قالَ: سَتَجِدُنِي إنْ شَاءَ اللهُ صَابِرًا وَلَا أَعْصِي لَكَ أَمْرًا، قالَ: فَإنِ اتَّبَعْتَنِي فلا تَسْأَلْنِي عن شيءٍ حتَّى أُحْدِثَ لَكَ منه ذِكْرًا، فَانْطَلَقَا حتَّى إذَا رَكِبَا في السَّفِينَةِ خَرَقَهَا، قالَ: انْتَحَى عَلَيْهَا، قالَ له مُوسَى عليه السَّلَامُ: أَخَرَقْتَهَا لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا لَقَدْ جِئْتَ شيئًا إمْرًا، قالَ: أَلَمْ أَقُلْ إنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِي صَبْرًا؟ قالَ: لا تُؤَاخِذْنِي بما نَسِيتُ وَلَا تُرْهِقْنِي مِن أَمْرِي عُسْرًا، فَانْطَلَقَا حتَّى إذَا لَقِيَا غِلْمَانًا يَلْعَبُونَ، قالَ: فَانْطَلَقَ إلى أَحَدِهِمْ بَادِيَ الرَّأْيِ فَقَتَلَهُ، فَذُعِرَ عِنْدَهَا مُوسَى عليه السَّلَامُ، ذَعْرَةً مُنْكَرَةً، قالَ: (أَقَتَلْتَ نَفْسًا زَاكِيَةً بغيرِ نَفْسٍ لَقَدْ جِئْتَ شيئًا نُكْرًا) فَقالَ رَسولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عليه وَسَلَّمَ عِنْدَ هذا المَكَانِ: رَحْمَةُ اللهِ عَلَيْنَا وعلى مُوسَى، لَوْلَا أنَّهُ عَجَّلَ لَرَأَى العَجَبَ، وَلَكِنَّهُ أَخَذَتْهُ مِن صَاحِبِهِ ذَمَامَةٌ، {قالَ إنْ سَأَلْتُكَ عن شيءٍ بَعْدَهَا فلا تُصَاحِبْنِي قدْ بَلَغْتَ مِن لَدُنِّي} عُذْرًا ولو صَبَرَ لَرَأَى العَجَبَ، قالَ: وَكَانَ إذَا ذَكَرَ أَحَدًا مِنَ الأَنْبِيَاءِ بَدَأَ بنَفْسِهِ رَحْمَةُ اللهِ عَلَيْنَا وعلى أَخِي كَذَا، رَحْمَةُ اللهِ عَلَيْنَا، فَانْطَلَقَا حتَّى إذَا أَتَيَا أَهْلَ قَرْيَةٍ لِئَامًا فَطَافَا في المَجَالِسِ فَاسْتَطْعَمَا أَهْلَهَا، فأَبَوْا أَنْ يُضَيِّفُوهُما فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَنْ يَنْقَضَّ فأَقَامَهُ، قالَ: لو شِئْتَ لَاتَّخَذْتَ عليه أَجْرًا، قالَ: هذا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ وَأَخَذَ بثَوْبِهِ، قالَ: {سَأُنَبِّئُكَ بتَأْوِيلِ ما لَمْ تَسْتَطِعْ عليه صَبْرًا، أَمَّا السَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَاكِينَ يَعْمَلُونَ في البَحْرِ} إلى آخِرِ الآيَةِ، فَإذَا جَاءَ الذي يُسَخِّرُهَا وَجَدَهَا مُنْخَرِقَةً فَتَجَاوَزَهَا فأَصْلَحُوهَا بخَشَبَةٍ، وَأَمَّا الغُلَامُ فَطُبِعَ يَومَ طُبِعَ كَافِرًا، وَكَانَ أَبَوَاهُ قدْ عَطَفَا عليه، فلو أنَّهُ أَدْرَكَ أَرْهَقَهُمَا طُغْيَانًا وَكُفْرًا (فَأَرَدْنَا أَنْ يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُما خَيْرًا منه زَكَاةً وَأَقْرَبَ رُحْمًا. وَأَمَّا الجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَامَيْنِ يَتِيمَيْنِ في المَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُ) إلى آخِرِ الآيَةِ.
مسلم (ت ٢٦١)، صحيح مسلم ٢٣٨٠ • [صحيح]

[١٢] [عن أبي بن كعب:] أنَّ مُوسَى صَاحِبَ الخَضِرِ ليسَ هو مُوسَى بَنِي إسْرَائِيلَ، إنَّما هو مُوسَى آخَرُ، فَقالَ: كَذَبَ عَدُوُّ اللَّهِ، حَدَّثَنَا أُبَيُّ بنُ كَعْبٍ، عَنِ النبيِّ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ: أنَّ مُوسَى قَامَ خَطِيبًا في بَنِي إسْرَائِيلَ، فَسُئِلَ أَيُّ النَّاسِ أَعْلَمُ؟ فَقالَ: أَنَا، فَعَتَبَ اللَّهُ عليه، إذْ لَمْ يَرُدَّ العِلْمَ إلَيْهِ، فَقالَ له: بَلَى، لي عَبْدٌ بمَجْمَعِ البَحْرَيْنِ هو أَعْلَمُ مِنْكَ قالَ: أَيْ رَبِّ ومَن لي بهِ؟ - ورُبَّما قالَ سُفْيَانُ، أَيْ رَبِّ، وكيفَ لي بهِ؟ - قالَ: تَأْخُذُ حُوتًا، فَتَجْعَلُهُ في مِكْتَلٍ، حَيْثُما فَقَدْتَ الحُوتَ فَهو ثَمَّ، - ورُبَّما قالَ: فَهو ثَمَّهْ -، وأَخَذَ حُوتًا فَجَعَلَهُ في مِكْتَلٍ، ثُمَّ انْطَلَقَ هو وفَتَاهُ يُوشَعُ بنُ نُونٍ، حتَّى إذَا أَتَيَا الصَّخْرَةَ وَضَعَا رُؤُوسَهُمَا، فَرَقَدَ مُوسَى واضْطَرَبَ الحُوتُ فَخَرَجَ، فَسَقَطَ في البَحْرِ فَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ في البَحْرِ سَرَبًا، فأَمْسَكَ اللَّهُ عَنِ الحُوتِ جِرْيَةَ المَاءِ، فَصَارَ مِثْلَ الطَّاقِ، فَقالَ: هَكَذَا مِثْلُ الطَّاقِ، فَانْطَلَقَا يَمْشِيَانِ بَقِيَّةَ لَيْلَتِهِما ويَومَهُمَا، حتَّى إذَا كَانَ مِنَ الغَدِ قالَ لِفَتَاهُ: آتِنَا غَدَاءَنَا، لَقَدْ لَقِينَا مِن سَفَرِنَا هذا نَصَبًا، ولَمْ يَجِدْ مُوسَى النَّصَبَ حتَّى جَاوَزَ حَيْثُ أَمَرَهُ اللَّهُ، قالَ له فَتَاهُ: (أَرَأَيْتَ إذْ أَوَيْنَا إلى الصَّخْرَةِ فإنِّي نَسِيتُ الحُوتَ وما أَنْسَانِيهُ إلَّا الشَّيْطَانُ أَنْ أَذْكُرَهُ واتَّخَذَ سَبِيلَهُ في البَحْرِ عَجَبًا) فَكَانَ لِلْحُوتِ سَرَبًا ولَهُمَا عَجَبًا، قالَ له مُوسَى: (ذلكَ ما كُنَّا نَبْغِي فَارْتَدَّا على آثَارِهِما قَصَصًا)، رَجَعَا يَقُصَّانِ آثَارَهُمَا، حتَّى انْتَهَيَا إلى الصَّخْرَةِ، فَإذَا رَجُلٌ مُسَجًّى بثَوْبٍ، فَسَلَّمَ مُوسَى فَرَدَّ عليه، فَقالَ وأَنَّى بأَرْضِكَ

وقال ﷺ في رواية ((لو صبر موسى لرأى العجب))[١٣] هذه الجملة تصلح أن تكون شعارًا في حياتك.

لو صبرتَ على أي طريق تسلكه إلى الله سترى العجب، لو صبرت في طلب العلم سترى العجب ، لو صبرت في الدعوة سترى العجب، لو صبرت في العبادة سترى العجب، أي طريق بينك وبين الله تصبر فيه ستجد المشقات والعقبات و.. و.. تصبر فيه سترى العجب.

فقال النبي ﷺ ((وَددنا أن لو موسى صبر)) هذا علم عجيب لذلك النبي ﷺ تمنى أن لو كان موسى صبر قال ((أن حدثنا أكثر)) كان يتمنى أن يسمع أكثر من مثل هذه القصص لكن قدر الله {وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدَرًا مَقْدُورًا} القصة كلها عجيبة.

{قَالَ إِن سَأَلْتُكَ عَن شَيْءٍ بَعْدَهَا فَلَا تُصَاحِبْنِي} هنا موسى عليه السلام من كرمه في صحبته، إن أنا أكون عارف أني لن أستطيع أن أكمل في طريق معين هذا أمر مهم جدًا، وأني أضع لنفسي مثلًا أن كذا لو تكرر أو كذا أو كذا إذًا أنا لن أستطيع أن أكمل في هذا الطريق، بدلًا من أن نناكف في بعضنا، وبدلًا من أن أناكف في نفسي، أنا لن أقدر.

السَّلَامُ؟ قالَ: أنَا مُوسَى، قالَ: مُوسَى بَنِي إسْرَائِيلَ قالَ: نَعَمْ، أتَيْتُكَ لِتُعَلِّمَنِي ممَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا، قالَ: يا مُوسَى: إنِّي علَى عِلْمٍ مِن عِلْمِ اللَّهِ عَلَّمَنِيهِ اللَّهُ لا تَعْلَمُهُ، وأَنْتَ علَى عِلْمٍ مِن عِلْمِ اللَّهِ عَلَّمَكَهُ اللَّهُ لا أعْلَمُهُ، قالَ: هلْ أتَّبِعُكَ؟ قالَ: {إنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا. وكيفَ تَصْبِرُ علَى ما لَمْ تُحِطْ به خُبْرًا} [الكهف: ٦٨]- إلى قَوْلِهِ - {إمْرًا} [الكهف: ٧١] فانْطَلَقَا يَمْشِيَانِ علَى سَاحِلِ البَحْرِ، فَمَرَّتْ بهِما سَفِينَةٌ كَلَّمُوهُمْ أنْ يَحْمِلُوهُمْ، فَعَرَفُوا الخَضِرَ فَحَمَلُوهُ بغيرِ نَوْلٍ، فَلَمَّا رَكِبا في السَّفِينَةِ جَاءَ عُصْفُورٌ، فَوَقَعَ علَى حَرْفِ السَّفِينَةِ فَنَقَرَ في البَحْرِ نَقْرَةً أوْ نَقْرَتَيْنِ، قالَ له الخَضِرُ يا مُوسَى ما نَقَصَ عِلْمِي وعِلْمُكَ مِن عِلْمِ اللَّهِ إلَّا مِثْلَ ما نَقَصَ هذا العُصْفُورُ بمِنْقَارِهِ مِنَ البَحْرِ، إذْ أخَذَ الفَأْسَ فَنَزَعَ لَوْحًا، قالَ: فَلَمْ يَفْجَأْ مُوسَى إلَّا وقدْ قَلَعَ لَوْحًا بالقَدُّومِ، فَقالَ له مُوسَى: ما صَنَعْتَ؟ قَوْمٌ حَمَلُونَا بغيرِ نَوْلٍ عَمَدْتَ إلى سَفِينَتِهِمْ فَخَرَقْتَهَا لِتُغْرِقَ أهْلَهَا، لقَدْ جِئْتَ شيئًا إمْرًا، قالَ: {ألَمْ أقُلْ إنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا، قالَ: لا تُؤَاخِذْنِي بما نَسِيتُ ولَا تُرْهِقْنِي مِن أمْرِي عُسْرًا} [الكهف: ٧٢]، فَكَانَتِ الأُولَى مِن مُوسَى نِسْيَانًا، فَلَمَّا خَرَجَا مِنَ البَحْرِ مَرُّوا بغُلَامٍ يَلْعَبُ مع الصِّبْيَانِ، فأخَذَ الخَضِرُ برَأْسِهِ فَقَلَعَهُ بيَدِهِ هَكَذَا، - وأَوْمَأَ سُفْيَانُ بأَطْرَافِ أصَابِعِهِ كَأَنَّهُ يَقْطِفُ شيئًا -، فَقالَ له مُوسَى: أقَتَلْتَ نَفْسًا زَكِيَّةً بغيرِ نَفْسٍ، لقَدْ جِئْتَ شيئًا نُكْرًا، قالَ: ألَمْ أقُلْ لكَ إنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا، قالَ: إنْ سَأَلْتُكَ عن شيءٍ بَعْدَهَا فلا تُصَاحِبْنِي قدْ بَلَغْتَ مِن لَدُنِّي عُذْرًا، فَانْطَلَقَا، حتَّى إذَا أتَيَا أهْلَ قَرْيَةٍ اسْتَطْعَما أهْلَهَا، فأبَوْا أنْ يُضَيِّفُوهُما، فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أنْ يَنْقَضَّ، مَائِلًا، أوْمَأَ بيَدِهِ هَكَذَا، - وأَشَارَ سُفْيَانُ كَأَنَّهُ يَمْسَحُ شيئًا إلى فَوْقُ، فَلَمْ أسْمَعْ سُفْيَانَ يَذْكُرُ مَائِلًا إلَّا مَرَّةً -، قالَ: قَوْمٌ أتَيْنَاهُمْ فَلَمْ يُطْعِمُونَا ولَمْ يُضَيِّفُونَا، عَمَدْتَ إلى حَائِطِهِمْ، لو شِئْتَ لَاتَّخَذْتَ عليه أجْرًا، قالَ: هذا فِرَاقُ بَيْنِي وبَيْنِكَ، سَأُنَبِّئُكَ بتَأْوِيلِ ما لَمْ تَسْتَطِعْ عليه صَبْرًا، قالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ: ودِدْنَا أنَّ مُوسَى كانَ صَبَرَ فَقَصَّ اللَّهُ عَلَيْنَا مِن خَبَرِهِما، - قالَ سُفْيَانُ -، قالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ يَرْحَمُ اللَّهُ مُوسَى لو كانَ صَبَرَ لَقُصَّ عَلَيْنَا مِن أمْرِهِما وقَرَأَ ابنُ عَبَّاسٍ: أمَامَهُمْ مَلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ صَالِحَةٍ غَصْبًا وأَمَّا الغُلَامُ فَكانَ كَافِرًا وكانَ أبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ.

البخاري (ت ٢٥٦)، صحيح البخاري ٣٤٠١ • [صحيح]

[١٣] [عن أبي بن كعب:] كانَ رسولُ اللَّهِ ﷺ إذا دعا بدأَ بنفسِهِ، وقالَ: رَحمةُ اللَّهِ علَينا وعلى موسى لو صبرَ لرأى من صاحبِهِ العجَبَ، ولَكِنَّهُ قالَ: إنْ سَأَلْتُكَ عَنْ شَيْءٍ بَعْدَها فَلاَ تُصاحِبْنِي قَدْ بَلَغْتَ مِنْ لَدُنِّي

الألباني (ت ١٤٢٠)، صحيح أبي داود ٣٩٨٤ • صحيح

{قَالَ إِن سَأَلْتُكَ عَن شَيْءٍ بَعْدَهَا} لأن واضح أن **رقم ثلاثة في الشريعه وفي العرف مُعتبر**، هذه ستكون الثالثة وهو بعد ذلك الخَضر {قَالَ هَٰذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ} كالطلاق ثلاثة، فالأمر معتبر أنه عندما يتكرر شيء وهذا أيضًا في فقه العلاقات لا أنت ستتغير ولا هو سيتغير ستظلان هكذا، فلا تقل نجرب للمرة الخمسمائة وسبعة عشر مع بعض، انتهى، هذا تضييع أعمار.

{قَالَ إِن سَأَلْتُكَ عَن شَيْءٍ بَعْدَهَا فَلَا تُصَاحِبْنِي ۖ قَدْ بَلَغْتَ مِن لَّدُنِّي عُذْرًا} وعادي إني أكتشف أن هذا ليس طريقي ، عادي جدًا بكل أريحية الخضر قال لموسى {قَالَ هَٰذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ} عادي أن تكتشف أن هذا ليس طريقك، وعادي أن تكتشف أن لك بابًا آخر، وأن لك إبداعًا آخر، وطريقًا آخر، وهنا عادي جدًا وافترقا عليه، هما لما افترقا لم يتشاجرا بل في روايات في الإسرائيليات أنه قال أوصني فأوصاه الخضر، وقال الخضر لموسى أوصني ودعا، أيا كان فافترقا عليه، اجتمعا عليه وافترقا عليه.

{قَالَ إِن سَأَلْتُكَ عَن شَيْءٍ بَعْدَهَا فَلَا تُصَاحِبْنِي ۖ قَدْ بَلَغْتَ مِن لَّدُنِّي عُذْرًا} أنت هكذا فعلت ما عليك.

○ ﴿فَٱنطَلَقَا حَتَّىٰٓ إِذَآ أَتَيَآ أَهْلَ قَرْيَةٍ ٱسْتَطْعَمَآ أَهْلَهَا فَأَبَوْا۟ أَن يُضَيِّفُوهُمَا فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَن يَنقَضَّ فَأَقَامَهُۥ ۖ قَالَ لَوْ شِئْتَ لَتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا﴾ [الكهف ٧٧]

{فَانطَلَقَا حَتَّىٰ إِذَا أَتَيَا أَهْلَ قَرْيَةٍ اسْتَطْعَمَا أَهْلَهَا} في رواية فطاف على الأهل كلهم، لذلك هنا {اسْتَطْعَمَا أَهْلَهَا} كأن كلهم رفضوا وهذا يوضح أنهم قرية لئام فعلًا، {فَأَبَوْا} هما من حقهما أن يطلبا الضيافة، الضيف له حق وهذا من الأمور الشرعية الغائبة عندنا، أن الضيف له حق يطالب به، عابر السبيل أو النازل في مكان غريب له حق أن يطلب المبيت ليلة.

{فَأَبَوْا أَن يُضَيِّفُوهُمَا} وبالرغم من الألم والتعب والسفر والمشاكل وكل هذا {فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَن يَنقَضَّ} هنا يوجد نقاش طويل لن أدخل فيه قضية المجاز وخلافه وهل يوجد مجاز في القرآن أم لا –هذا ليس بابنا–.

{يُرِيدُ أَن يَنقَضَّ فَأَقَامَهُ} كيف أقامه؟ في رواية مسحه فأقامه مع مجهود زائد، ففي هذه اللحظة وهذا شيء عجيب جدًا أن هذه اللحظة تكون الفراق، سؤال عابر جدًا سيدنا موسى جوعان {قَالَ لَوْ شِئْتَ لَاتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا} قل لهم أقيمه لكم مقابل مال.

○ ﴿قَالَ هَذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ سَأُنَبِّئُكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا﴾ [الكهف ٧٨]

في هذه اللحظة {قَالَ هَذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ سَأُنَبِّئُكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا} **وهنا يأتي النور هنا البصيرة واللطف**، أنا عندما آتي عند هذه اللحظة في القصة أشعر بانشراح الصدر والفهم عن الله، وكل واحد فينا يتمنى لو أن النصف صفحة المتبقية تكون موجودة في حياته، **شخص يشرح له**، كلنا يتمنى، إن المرض الذي حدث لك كان حكمته كذا، وإن الموقف الذي حصل لك كان حكمته كذا.

وأما السفينة، وأما االغلام، وأما الجدار، كل واحد منا يتمنى أن أحدًا يقول له وأما المرض وأما المصيبة وأما كذا وأما كذا، لكن هذا يحدث في الآخرة، فالمؤمن مطالب أن يصبر.

هذه القصة جاءت بصيص نور لهذا العالم من رحمة ربنا، المفترض أننا نثق في حكمة الله ﷻ، لكن ليزداد الذين آمنوا إيمانًا، عندما يقرأوا هذه القصة يزدادوا إيمانًا ويعرفوا أن مهما كانت الأحداث فيها صعوبة ففيها خير ورحمة للمؤمنين.

فهنا سيحدث الفصل وقبل أن ينفصلوا –وهذا من كمال الصحبة– أننا عندما ننفصل أبين لك أسباب الإنفصال بوضوح وأشرح لك وننفصل.

○ { أَمَّا ٱلسَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَٰكِينَ يَعْمَلُونَ فِي ٱلْبَحْرِ فَأَرَدتُّ أَنْ أَعِيبَهَا وَكَانَ وَرَآءَهُم مَّلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبا}[الكهف ٧٩]

قال {أَمَّا السَّفِينَةُ} التي قلت عنها شيئًا إمرًا واستنكرت عليَّ الخرق {فَكَانَتْ لِمَسَاكِينَ يَعْمَلُونَ فِي الْبَحْرِ} كان معبرًا من المعابر لهم ويوجد ظالم مجرم موجود في كل زمان ومكان يأخذ السفن منهم، لكنه مجرم يأخذ الصالحة فقط، يأخذ كل سفينةٍ صالحة {فَأَرَدْتُ أَنْ أَعِيبَهَا}.

{فَكَانَتْ لِمَسَاكِينَ يَعْمَلُونَ فِي الْبَحْرِ} مساكين ليس لهم إلا هذه السفينة، {يَعمَلُونَ فِي ٱلبَحرِ فَأَرَدتُّ} وهنا جواز العمل في البحر، {فَأَرَدْتُ أَنْ أَعِيبَهَا} أصنع فيها عيبًا لتُنقد هذه السفينة.

إذًا باب المصالح والمفاسد باب عظيم لكن يحتاج إلى فقيه، إلى ولي من أولياء الله، إلى فقيه إلى عالم، إلى رباني، ليس كالذي يحدث الآن من أن الدين يُستهزأ به ويُنتقص منه، ويقول مصالح ومفاسد، لا أنتم تفهمون المصالح والمفاسد خطأ، نحن لا نفسد الدين لنصلح الدنيا، لا، هذا معنى فاسد، أول شيء من المقاصد حفظ الدين.

{فَأَرَدْتُ أَنْ أَعِيبَهَا} للأسف ابتذلت واستهلكت استهلاكًا سيئًا من قبل بعض الناس للأسف .

فالخلاصة {فَأَرَدْتُ أَنْ أَعِيبَهَا} لم؟ {وَكَانَ وَرَاءَهُمْ مَلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ} صالحةٍ {غَصْبًا} فلما يرى هذا العيب لن يأخذها، هو أحدث بها عيبًا وتخيل هم حزنوا: سفينتنا فيها خرق، وسنحتاج لأن نصلحها، سفينتنا أصبح بها عيب الناس ستخاف أن تركب معنا، لن نستطيع أن ننقل بها البضائع، كل هذا البكاء تخيل أنك تبكي على شيء والله يريد بك الخير، هذا يحدث كثيرًا جدًا معنا، تكن حزينًا وتبكي وتقول لماذا يا رب ويكون هذا هو الخير لك، وقد يكون الخير لك في الآخرة، لا تقل حسنًا خير كيف؟! نعم هذا الخير يمكن أن يكون في الآخرة، ليس من الضروري أن يكون الخير الذي بفهمك أنت هل أنت ربنا! فربنا سبحانه وتعالى يفعل ما يشاء ويقدر ما يشاء سبحانه وتعالى بحكمةٍ ورحمة، ليس بالضرورة أن تفهم.

{أَمَّا السَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَاكِينَ يَعْمَلُونَ فِي الْبَحْرِ فَأَرَدْتُ أَنْ أَعِيبَهَا وَكَانَ وَرَاءَهُمْ مَلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا} أنا أريدك أن تتخيل مشهد سيدنا موسى وهو يسمع، ما هذا! الخرق والناس التي تأثرت لأجلهم وكنت أقول له لقد جئت شيئًا إمرًا اتضح أنه خير، ربنا قد يقدر أقدارًا ظاهرها أن فيها عيب وهي في حقيقتها خير.

انتبهوا معي حاولتُ أن أفهم قدر المستطاع وضعت الثلاث أشياء التي حدثت، الثلاث قصص وجدت أن: القصة الأولى عيبٌ في شيءٍ دنيوي لتحقيق مصلحةٍ دنيويةٍ أعظم مؤجلة، أكرر عيبٌ عاجل دنيوي لتحقيق مصلحةٍ دنيويةٍ مؤجلة، أنت في دنياك قد يحدث عيب وشيء عظيم، خرق في حياتك لتحقيق مصلحة دنيوية أيضًا مؤجلة، تُنقذ من شيء، يُصرف عنك شيء، يصرف عنك ظلم، يصرف عنك فساد، يصرف عنك أذى، لا تدري، ويكون عيبًا، مثلًا ممكن لا قدر الله سيارتك تصطدم يحدث لك مشكلة وأذى معين، تمرض يحدث لك شيء ويكون هذا سبب أن يُصرف عنك، ولا يكون الحل مع هذا الظالم أو هذا الغاصب المواجهة، قد يكون الحل أن يراك معيوبًا ألا يراك ذو قيمة للمحاربة، وكثير من الخير انتشر بسبب أن الظالم لم يعتبره شيئًا، يرى أنه ليس وقته، أأجلهم، في هذا الوقت يحدث انتشار للخير سبحان الله.

○ {وَأَمَّا ٱلْغُلَٰمُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ فَخَشِينَآ أَن يُرْهِقَهُمَا طُغْيَٰنًا وَكُفْرًا}[الكهف ٨٠]

{فَأَرَدْتُ أَنْ أَعِيبَهَا وَكَانَ وَرَاءَهُمْ مَلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا * وَأَمَّا الْغُلَامُ..} الذي في الرواية التي رواها الإمام قتادة قال ((فرحا يوم ولد وحزنا يوم مات)) لما صورتُ لكم المشهد غلام أهله فرحانين به وظريف ويلعب ويذبح ويقطع، أنت غير متخيل مهما حاولنا نتخيل يا تُرى كيف كان أبوه وأمه وقت ما جاءهم الخبر أو عندما رأوه هكذا، كيف كانا من البكاء والحزن.

الغريبة إن القصة الأولى –السفينة– هم ربما يفهموا الأمر عندما يأتي الظالم يجمع السفن ويقول أنا معي سفن كثيرة ولن آخذ هذه المعيبة، فيقولون الحمد لله أن سفينتنا معيبة، إنما الأب والأم لن يفهموا قيمة ما حدث إلا يوم القيامة، لن يعرفوا أن ابنهم لو كان كبر كان سيرهقهما طغيانًا وكفرًا غير يوم القيامة، وإن كان ربنا أبدلهما وقالا الحمد لله فأبدلهما غيره أقرب منه زَكاةً ورُحمًا، لكن هما لن يعرفوا مآلات هذا غير يوم القيامة، فهناك أحداث لن تظهر لك حكمتها إلا يوم القيامة فاحمد الله ﷻ في الدنيا لتأخذ ثواب ذلك الحمد في الآخرة.

{وَأَمَّا الْغُلَامُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ} قال النبي ﷺ ((طُبع كافرًا))[١٤]، {فَخَشِينَا أَنْ يُرْهِقَهُمَا طُغْيَانًا وَكُفْرًا} المصلحة هنا ماذا؟ أي لو كان تُرك هل كان سيتعبهم وحسب؟ أي كان سيناكف والداه ويحزنهما، لا كان سيرهقهما طغيانًا وكفرًا، توجد رواية لا أذكر نصها الذي هو ((فخشينا أن يحملهما حبه على أن يُتابعاه على دينه))[١٥] أي أن الخوف الذي هنا هو على دينهم، المصلحة هنا مصلحة الدين وليست مصلحة إنقاذ السفينة ولا إنقاذ الغلام، لا المصلحة في دين الناس.

---

[١٤] [عن أبي بن كعب:] الغلامُ الَّذي قتلَهُ الخَضِرُ طُبِعَ يومَ طُبِعَ كافرًا
الألباني (ت ١٤٢٠)، صحيح الترمذي ٣١٥٠ • صحيح • أخرجه مسلم (٢٦٦١)، وأبو داود (٤٧٠٥)، وأحمد (٢١١٥٩) مطولاً، والترمذي (٣١٥٠) واللفظ له.

[١٥] [عن أبي بن كعب:] إنَّا لَعِندَ ابْنِ عَبَّاسٍ في بَيْتِهِ، إذْ قالَ: سَلُونِي، قُلتُ: أيْ أبَا عَبَّاسٍ، جَعَلَنِي اللَّهُ فِدَاءَكَ، بالكُوفَةِ رَجُلٌ قَاصٌّ يُقَالُ له: نَوْفٌ يَزْعُمُ أنَّه ليسَ بمُوسَى بَنِي إسْرَائِيلَ، أمَّا عَمْرٌو فَقالَ لِي: قالَ: قدْ كَذَبَ عَدُوُّ اللَّهِ، وأَمَّا يَعْلَى فَقالَ لِي: قالَ ابنُ عَبَّاسٍ، حدَّثَنِي أُبَيُّ بنُ كَعْبٍ، قالَ: قالَ رَسولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ: مُوسَى رَسولُ اللَّهِ عليه السَّلَامُ، قالَ: ذَكَّرَ النَّاسَ يَوْمًا حتَّى إذَا فَاضَتِ العُيُونُ، ورَقَّتِ القُلُوبُ، ولَّى فأدْرَكَهُ رَجُلٌ فَقالَ: أيْ رَسولَ اللَّهِ، هلْ في الأرْضِ أحَدٌ أعْلَمُ مِنْكَ؟ قالَ: لَا، فَعَتَبَ عليه إذْ لَمْ يَرُدَّ العِلْمَ إلى اللَّهِ، قيلَ: بَلَى، قالَ: أيْ رَبِّ، فأيْنَ؟ قالَ: بمَجْمَعِ البَحْرَيْنِ، قالَ: أيْ رَبِّ، اجْعَلْ لي عَلَمًا أعْلَمُ ذلكَ به - فَقالَ لِي عَمْرٌو - قالَ: حَيْثُ يُفَارِقُكَ الحُوتُ - وقالَ لِي يَعْلَى - قالَ: خُذْ نُونًا مَيِّتًا، حَيْثُ يُنْفَخُ فيه الرُّوحُ، فأخَذَ حُوتًا فَجَعَلَهُ في مِكْتَلٍ، فَقالَ لِفَتَاهُ: لا أُكَلِّفُكَ إلَّا أنْ تُخْبِرَنِي بحَيْثُ يُفَارِقُكَ الحُوتُ، قالَ: ما كَلَّفْتَ كَثِيرًا فَذلكَ قَوْلُهُ جَلَّ ذِكْرُهُ: {وَإِذْ قالَ مُوسَى لِفَتَاهُ} يُوشَعَ بنِ نُونٍ - ليسَتْ عن سَعِيدٍ - قالَ: فَبَيْنَا هو في ظِلِّ صَخْرَةٍ في مَكَانٍ ثَرْيَانَ، إذْ تَضَرَّبَ الحُوتُ ومُوسَى نَائِمٌ، فَقالَ فَتَاهُ: لا أُوقِظُهُ حتَّى إذَا اسْتَيْقَظَ نَسِيَ أنْ يُخْبِرَهُ، وتَضَرَّبَ الحُوتُ حتَّى دَخَلَ البَحْرَ، فأمْسَكَ اللَّهُ عنْه جِرْيَةَ البَحْرِ، حتَّى كَأنَّ أثَرَهُ في حَجَرٍ - قالَ لي عَمْرٌو: هَكَذَا كَأنَّ أثَرَهُ في حَجَرٍ، وحَلَّقَ بيْنَ إبْهَامَيْهِ واللَّتَيْنِ تَلِيَانِهِما - {لَقَدْ لَقِينَا مِن سَفَرِنَا هذا نَصَبًا}، قالَ: قدْ قَطَعَ اللَّهُ عَنْكَ النَّصَبَ - ليسَتْ هذِه عن سَعِيدٍ أخْبَرَهُ - فَرَجَعَا فَوَجَدَا خَضِرًا - قالَ لي عُثْمَانُ بنُ أبِي سُلَيْمَانَ - علَى طِنْفِسَةٍ

لما كنت أتأمل في الآيات ولم يكن عندي وقتها إجابات، لاحظت أنه لما كانت المصلحة إنقاذ السفينة كان الألم والعيب كان خرقًا، ولما كانت المصلحة حفظ الدين كان الألم قتلًا، فقد يكون لحفظ الشيء الغالي تكون الآلام غالية وتكون صعبة بل قد تكون غير مفهومة، قد تمر الأمة ويمر العلماء والمسلمون بأزماتٍ عظيمة من قتلٍ وتعذيبٍ وتشريد أشبه بمرحلة قتل الغلام ويكون فيها الخير، يكون فيها حفظ دين الباقين، قُتل الغلام وحفظ دين الباقين الأب والأم، فقد يقتل أناس ليحفظ دين الباقين، وحفظ الدين شيء معظم، لكن لأن الدين عندنا ليس هو الأساس قد لا نستوعب مثل هذه الحكمة.

فيقتل الغلام ليحفظ دين الوالدين، فإذًا قد يحدث قتلٌ وتشريدٌ وتعذيب لحفظ الدين، استمرار مسيرة الدين في العالم وبقاء الدين في الأرض يحتاج إلى بذل.

○ {فَأَرَدْنَآ أَن يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْرًا مِّنْهُ زَكَوٰةً وَأَقْرَبَ رُحْمًا}[الكهف ٨١]

{وَأَمَّا الْغُلَامُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ فَخَشِينَا أَنْ يُرْهِقَهُمَا طُغْيَانًا وَكُفْرًا * فَأَرَدْنَا أَنْ يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْرًا مِنْهُ زَكَاةً وَأَقْرَبَ رُحْمًا} قالوا أن الزكاة جاءت لما قال له {قَالَ أَقَتَلْتَ نَفْسًا زَكِيَّةً} فربنا أتى له بأقرب منه زكاةً ويكون ألطف، أي أن الأول كان سيتعب أباه وأمه وممكن يجعلهما يكفران لذلك قيل أبدلهما الله بجارية لأن البنات ألطف –قيل–، والرواية في البخاري عن بعض التابعين أن أبدلهما الله جارية وقيل ولدًا نبيًا من الأنبياء كلها في الإسرائيليات {وَأَقْرَبَ رُحْمًا}.

خَضْرَاء، علَى كَبِدِ البَحْرِ - قالَ سَعِيدُ بنُ جُبَيْرٍ - مُسَجًّى بثَوْبِهِ قدْ جَعَلَ طَرَفَهُ تَحْتَ رِجْلَيْهِ، وطَرَفَهُ تَحْتَ رَأْسِهِ، فَسَلَّمَ عليه مُوسَى فَكَشَفَ عن وجْهِهِ، وقالَ: هلْ بأَرْضِي مِن سَلَامٍ مَن أنْتَ؟ قالَ: أنَا مُوسَى، قالَ: مُوسَى بَنِي إسْرَائِيلَ؟ قالَ: نَعَمْ، قالَ: فَما شَأْنُكَ؟ قالَ: جِئْتُ لِتُعَلِّمَنِي ممَّا عُلِّمْتَ رَشَدًا، قالَ: أما يَكْفِيكَ أنَّ التَّوْرَاةَ بيَدَيْكَ، وأنَّ الوَحْيَ يَأْتِيكَ يا مُوسَى، إنَّ لي عِلْمًا لا يَنْبَغِي لكَ أنْ تَعْلَمَهُ، وإنَّ لكَ عِلْمًا لا يَنْبَغِي لي أنْ أعْلَمَهُ، فأخَذَ طَائِرٌ بمِنْقَارِهِ مِنَ البَحْرِ، وقالَ: واللَّهِ ما عِلْمِي وما عِلْمُكَ في جَنْبِ عِلْمِ اللَّهِ إلَّا كما أخَذَ هذا الطَّائِرُ بمِنْقَارِهِ مِنَ البَحْرِ، حتَّى إذَا رَكِبَا في السَّفِينَةِ وجَدَا معابِرَ صِغَارًا، تَحْمِلُ أهْلَ هذا السَّاحِلِ إلى أهْلِ هذا السَّاحِلِ الآخَرِ، عَرَفُوهُ فَقالوا: عبدُ اللَّهِ الصَّالِحُ - قالَ: قُلْنَا لِسَعِيدٍ: خَضِرٌ؟ قالَ: نَعَمْ - لا نَحْمِلُهُ بأَجْرٍ، فَخَرَقَهَا ووَتَدَ فِيهَا وتِدًا، قالَ مُوسَى: {أَخَرَقْتَهَا لِتُغْرِقَ أهْلَهَا، لَقَدْ جِئْتَ شيئًا إمْرًا} - قالَ مُجَاهِدٌ: مُنْكَرًا - (قالَ ألَمْ أقُلْ إنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا)، كانَتِ الأُولَى نِسْيَانًا والوُسْطَى شَرْطًا، والثَّالِثَةُ عَمْدًا، {قالَ: لا تُؤَاخِذْنِي بما نَسِيتُ ولَا تُرْهِقْنِي مِن أمْرِي عُسْرًا}، لَقِيَا غِلْمَانًا فَقَتَلَهُ - قالَ يَعْلَى: قالَ سَعِيدٌ: وجَدَ غِلْمَانًا يَلْعَبُونَ فأخَذَ غُلَامًا كَافِرًا ظَرِيفًا فأضْجَعَهُ ثُمَّ ذَبَحَهُ بالسِّكِّينِ - {قالَ: أقَتَلْتَ نَفْسًا زَكِيَّةً بغيرِ نَفْسٍ} لَمْ تَعْمَلْ بالحِنْثِ - وكانَ ابنُ عَبَّاسٍ قَرَأَهَا زَكِيَّةً (زَاكِيَةً): مُسْلِمَةً كَقَوْلِكَ غُلَامًا زَكِيًّا - فَانْطَلَقَا فَوَجَدَا جِدَارًا يُرِيدُ أنْ يَنْقَضَّ، فأقَامَهُ - قالَ سَعِيدٌ بيَدِهِ هَكَذَا، ورَفَعَ يَدَهُ فَاسْتَقَامَ، قالَ يَعْلَى: حَسِبْتُ أنَّ سَعِيدًا قالَ: فَمَسَحَهُ بيَدِهِ فَاسْتَقَامَ - {لَوْ شِئْتَ لَاتَّخَذْتَ عليه أجْرًا} - قالَ سَعِيدٌ: أجْرًا نَأْكُلُهُ - {وَكانَ وَرَاءَهُمْ} وكانَ أمَامَهُمْ - قَرَأَهَا ابنُ عَبَّاسٍ - أمَامَهُمْ مَلِكٌ، يَزْعُمُونَ عن غيرِ سَعِيدٍ أنَّه هُدَدُ بنُ بُدَدَ، والغُلَامُ المَقْتُولُ اسْمُهُ يَزْعُمُونَ جَيْسُورٌ - {مَلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا}، فأرَدْتُ إذَا هي مَرَّتْ به أنْ يَدَعَهَا لِعَيْبِهَا، فَإِذَا جَاوَزُوا أصْلَحُوهَا فَانْتَفَعُوا بهَا - ومِنْهُمْ مَن يقولُ: سَدُّوهَا بقَارُورَةٍ، ومِنْهُمْ مَن يقولُ بالقَارِ - {كانَ أبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ} وكانَ كَافِرًا {فَخَشِينَا أنْ يُرْهِقَهُمَا طُغْيَانًا، وكُفْرًا} أنْ يَحْمِلَهُمَا حُبُّهُ علَى أنْ يُتَابِعَاهُ علَى دِينِهِ، (فَأَرَدْنَا أنْ يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْرًا منه زَكَاةً) لِقَوْلِهِ: {أَقَتَلْتَ نَفْسًا زَكِيَّةً} {وَأَقْرَبَ رُحْمًا} هُما به أرْحَمُ منهما بالأوَّلِ، الذي قَتَلَ خَضِرٌ - وزَعَمَ غَيْرُ سَعِيدٍ: أنَّهَا أُبْدِلَا جَارِيَةً، وأمَّا دَاوُدُ بنُ أبِي عَاصِمٍ فَقالَ: عن غيرِ واحِدٍ: إنَّهَا جَارِيَةٌ - البخاري (ت ٢٥٦)، صحيح البخاري ٤٧٢٦ • [صحيح]

○ {وَأَمَّا ٱلْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَٰمَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي ٱلْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُۥ كَنزٌ لَّهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَٰلِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَن يَبْلُغَآ أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنزَهُمَا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ ۚ وَمَا فَعَلْتُهُۥ عَنْ أَمْرِى ۚ ذَٰلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا}[الكهف ٨٢]

{وَأَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُ كَنْزٌ لَهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا} انتبه في الماضي، {فَأَرَادَ رَبُّكَ أَنْ يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنْزَهُمَا رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ} أي أن عمل صالح في الماضي أتى بنفع دنيوي في المستقبل.

انظر إلى الفارق، تنظر إلى الثلاث قصص:

- عيب دنيوي، كي يأتي منفعة دنيوية مؤجلة.
- ألم وقتل، كي يحفظ الدين.
- هنا –القصة الثالثة– عمل صالح في الماضي.

إذًا الأعمال الصالحة كالباقيات الصالحات التي في نفس السورة قد لا تظهر الثمار مُعجلة، وقيل – أكيد كلكم سمعتم مسألة أنه قيل– **هذا الجد السابع وليس الأب** لكن ولنفرض، {وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا} كما يقول بعض السلف إني أزيد في صلاتي من أجلك، بقاء العمل الصالح وأثر العمل الصالح في الأولاد بل في البلدة، {وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَنْ يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنْزَهُمَا}.

هنا سيدنا موسى: ما هذا! الثلاث أحداث التي استغربتها كانت رحمة، لذلك كلمة {رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ} أعجبني جدًا ابن كثير، والطبري قال {رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ} المقصود بها الآية التي نحن فيها أي الكنز، ابن كثير أعجبني له إشارة جميلة صراحة لو أخذنا بالقول هذا جميل جدًا قال إن {رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ} على الثلاثة، أي رحمة من ربك بأصحاب السفينة وبالأبوين وباليتيمين وليس رحمة من ربك باليتيمين فقط.

الطبري جعلها قاصرة على آخر آية، ابن كثير قال لا على الثلاثة، ولما نجعلها للثلاثة شيء عجيب جدًا، قتل الغلام المشهد الشنيع البشع الذي ذعر منه سيدنا موسى، أنا توقعت أن ربنا يقول "حكمةً من ربك"، صراحة لو أنا كنت متعايشًا كنت قلت "حكمة" لكن "رحمة"، عندما أتخيل أن هناك أحداثًا فعلًا صعبة تحدث في حياة المرء يقول أكيد لها حكمة، لكن اتضح أنه ليس حكمة فقط بل فيها رحمة،

ممكن يكون رحمة في الدنيا أو في الآخرة، هذه الآيات لن يستوعبها إلا الذين يعظمون الأخرة، الذين يعظمون الدين لكن الذي كل تفكيره في الدنيا {فَأَعْرِضْ عَنْ مَنْ تَوَلَّىٰ عَنْ ذِكْرِنَا وَلَمْ يُرِدْ إِلَّا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا}[النجم ٢٩] هذا لن يستوعب، المشغول بالزينة لن يستوعب مثل هذه القصة.

{وَأَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُ كَنْزٌ لَهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا} بقية الصلاح وأثر الصلاح {فَأَرَادَ رَبُّكَ أَنْ يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنْزَهُمَا رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ ۚ وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي ۚ ذَٰلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا} بعض المفسرين هنا قال الجمال في أسلوب الخضر أنه قال "فأردت أن أعيبها" ونسب العيب لنفسه، أما عند أبوهما صالحًا فقال " فَأَرَادَ رَبُّكَ "، وفي الثانية قال " فَخَشِينَا" قيل هذه نون العظمة أو نون المشاركة بما أن قتل الغلام كان فيه جزء فيه عيب وجزء فيه إبدال فكأنه هو الذي قام بالعيب بالقتل، والإبدال فأراد أن يبدلهما ربهما من فعل الله ﷻ وإن كان كله من فعل الله ﷻ.

هذه القصة العجيبة وما فيها من أحداث عجيبة وأقدار عجيبة، القدر سر، القدر حكمة، القدر لطف، القدر قدرة الله سبحانه وتعالى، نحتاج إلى التسليم، هذا العقل يحتاج أن يتعبد إلى الله بالتسليم، أن يتوقف قليلًا عن التحسر هذه اللَوْلَوة لو.. لو.. لو..، في سورة آل عمران {لِيَجْعَلَ اللَّهُ ذَٰلِكَ حَسْرَةً فِي قُلُوبِهِمْ}[آل عمران ١٥٦] كثرة التفكير في منطقة معينة هي مغلقة قدرية يجعل الإنسان يتحسر، لا تقل لو أني فعلت كذا لكان كذا وكذا، يحتاج الإنسان أن يتوقف قليلًا عن هذا الأمر لأن فعلًا القدر سيظل فيه أسرار لا يعلمها الإنسان إلا يوم القيامة

لحظة الإنتقال بين الإستضعاف الذي كان موجود في صاحب الجنتين للتمكين الموجود في ذو القرنين مر عبر قصة موسى والخضر، إذًا هذا الانتقال من هذه المرحلة إلى هذه المرحلة يحتاج إلى علم، يحتاج إلى تعاون، يحتاج إلى علاقات ناضجة، يحتاج إلى بذل وسفر، سوف نمر بآلام سوف نمر بخرق السفينة وقتل الغلام وبذل خير للناس قد يكونوا معنا يفعلون فعل اللئام، سنمر بهذه الأحداث حتى نصل إلى مرحلة السير في طلب الجهاد وقصة ذي القرنين.

أكتفي بهذا القدر قصة عجيبة ممتعة اقرأوها وكرروها وإياكم أن تنسوا لأن السورة فيها نهي عن النسيان إياكم أن تنسوا مثل هذه المعاني، إذا واجهت شيئًا من الأحداث والأقدار العجيبة في حياتك تذكر وأما الغلام، وأما السفينة، وأما الجدار، ثم ضف أنت الرابعة وقل وأما المرض، قل وأما الحدث، قل وأما

الحادثة، قل وأما المصيبة، ضع أنت الرابعة لما تضع الرابعة حتى و إن لم تستطع أن تكمل، وأما السفينة كذا وأما الغلام كذا وأما الجدار كذا وأما المصيبة وتسكت يقينًا أن لها تكملة هي رحمة، مثل هذه الأمور مهما كان الحدث الذي يصيبك شنيعًا أو فظيعًا أو يُذْعر منه الصالحون كما ذُعر موسى عليه السلام اعلم أن هناك حكمة بل هناك رحمة لا تعلمها ولكن اصبر واحتسب ((عجبًا لأمر المؤمن إن أمره كله له خير إن أصابته سراء شكر فكان خيرًا له وإن أصابته ضراء صبر فكان خيرًا له))[١٦].

أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم.

سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

[١٦] [عن صهيب بن سنان الرومي:] عَجَبًا لأَمْرِ المُؤْمِنِ، إِنَّ أَمْرَهُ كُلَّهُ خَيْرٌ، وليسَ ذاكَ لأَحَدٍ إِلّا لِلْمُؤْمِنِ، إِنْ أصابَتْهُ سَرّاءُ شَكَرَ، فكانَ خَيْرًا له، وإِنْ أصابَتْهُ ضَرّاءُ، صَبَرَ فكانَ خَيْرًا له.
مسلم (ت ٢٦١)، صحيح مسلم ٢٩٩٩ • [صحيح]